الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم: التاريخ

الأسر والأسرى من خلال كتاب ماريا تيرمتلن خلال القرن 18م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من اعداد الطالبة:

– زهيرة عطية

تحت إشراف الأستاذ:

– أ.د جلول بن قومار

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. الشيخ لكحل	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د. جلول بن قومار	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. نصيرة نواصر	جامعة غرداية	مساعد مشرف
أ.د. ناصر بالحاج	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443هـ–1444هـ 2022–2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم: التاريخ

الأسر والأسرى من خلال كتاب ماريا تيرمتلن خلال القرن 18م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من اعداد الطالبة:

– زهيرة عطية

تحت إشراف الأستاذ:

– أ.د جلول بن قومار

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. الشيخ لكحل	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د. جلول بن قومار	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. نصيرة نواصر	جامعة غرداية	مساعد مشرف
أ.د.ناصر بالحاج	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443هـ–1444هـ 2022–2023م

في حق الأسير والأسرى

قال تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

سورة محمد الآية 4.

الاهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل

والشكر والتقدير له وبعد إلى الوالدين الكريمين

أدامهما الله ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى إخوتي حفظهم الله ورعاهم.

إلى زوجي العزيز.

إلى عائلة زوجي.

إلى صديقتي الغالية "إيعيش شيماء".

إلى كل هؤلاء أهدي عملي وجهدي.

الشكر والتقدير

الحمد الله وكفى والصلاة والسلام على لحبيب المصطفى

سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

الذي قال "من لا يشكر الله لم يشكر الناس"

رواه احمد وأبو داود الترمذي

ثم لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل.

إلى من كان نعم الموجه والمشرف والمحفز الأستاذ والدكتور:

"بن قومار جلول"

الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته

والذي كان لي خير سند. وأشكر كل من ساهم من بعيد

أو من قريب في انجاز هذه المذكرة

لكل هؤلاء أقول شكرا لكم.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقرير
تن	تاريخ النشر
ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
بالأجنبية	
N	Numéro
P	Page

مقدمة

يعتبر موضوع "**الأسر والأسرى**" أحد محاور محركات العلاقات المتشعبة بين المغرب الأقصى والدول الأوربية، خلال هاته الفترة، وقد بات من المعروف الدور الذي قام به أولئك الأسرى في المساهمة في كتابة وتدوين تاريخ المغرب الأقصى في الفترة الحديثة من منظور ومنطلقات الأسرى المسيحين فقد ذكروا أحداثا تاريخية أغفلتها المصادر المحلية وذلك من خلال مذكراتهم الشخصية ورحلاتهم المدونة ومشاهدتهم أثناء الأسر.

لا شك أن كتاب "**اثنتا عشر سنة من الاستعباد** "رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب" لمريا تيرمتلن Maria Ter Meetelen"هو أحد المصادر التاريخية كمذكرة شخصية لأسيرة عاشت في الأسر أكثر من عشر سنين، شاهدت أحداثا، وعايشت ظروفا وعاصرت سلاطين المغرب في فترة الفوضى بعد وفاة المولى إسماعيل 1672-1727 م ، منهم السلطان عبد الله بن إسماعيل، والسلطان علي الأعرج والسلطان محمد ولد عربية، والسلطان المستضئ والسلطان زين العابدين.

ونظرا لأهمية هذا المصدر التاريخي الذي لا غنى للباحثين عنه في تاريخ المغرب الأقصى الحديث، وعلاقاته مع أوروبا ارتأيت رفقة المشرف أن أتخذه موضوعا لدراسة متطلبات مذكرة التخرج الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث، فكانت الدراسة موسومة ب "**الأسر والأسرى من خلال كتاب ماريا تيرمتلن خلال القرن 18**".

1-أسباب اختيار الموضوع :

لا ريب أن هناك جملة من الأسباب دفعتني لاختيار هذه الدراسة ومنها:

-الرغبة والميول في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث عامة، والمغرب الأقصى خاصة

-توفر المادة العلمية في تاريخ المغرب الأقصى خاصة الفترة الحديثة.

-تشجيع الأستاذ المشرف لهذا الموضوع باعتباره جديدا، لم يتطرق إليه الكثير من الباحثين.

-متعة البحث في قضية الأسرى الأوربيون في بلاد المغرب الأقصى، ومدى تأثيرها على صعيد العلاقات الخارجية خلال الفترة الحديثة

-دراسة تاريخ المغرب الأقصى من منظور الكتابات الأجنبية ومقارنتها بالمصادر المحلية.

2-الهدف من الدراسة :

- هدفي في دراسة هذا الموضوع، هو إبراز تاريخ المغرب الأقصى الحديث من خلال ما دونته الأسيرة الهولندية مريا تيرمتلن في كتابها، وكيف وصفت أوضاع المغرب الأقصى بعد وفاة مولاي إسماعيل.

-إثراء المكتبة الجامعية بمرجع تاريخي يساهم في البحوث التاريخية لطلبة الجامعة.

-الإطار الزماني والمكاني:

تمتد فترة المجال الزماني 1731إلى 1743م وهو تاريخ أسر **ماريا تيرمتلنMaria Ter Meetelen** مع التطرق إلى الأحداث السياسية، التي عايشتها الأسيرة وذكرتها في كتابها أما الإطار المكاني فهو المغرب وخاصة الأماكن والمدن التي عاشت فيها الأسيرة وهي مدينة مكناس وسلا والمعمورة وتطوان.

3-إشكالية الدراسة :

تتمثل إشكالية الدراسة في إشكالية جوهرية وهي:

ما مدى مساهمة الأسرى الأوربيون عامة وأسيرة مريا تيرمتلن خاصة في تدوين تاريخ المغرب الأقصى في ضل أزمة العرش؟

تتفرع عنها تساؤلات فرعية وهي:

-كيف كانت أوضاع الأسرى الأوربيين خلال عهد مولاي إسماعيل وبعد وفاته

- ما هي أبرز الأحداث التاريخية التي وردت في كتاب مريا تيرمتلن؟ وهل كانت الأسيرة موضوعية في طرحها أم متحاملة تحركها النوازع المسحية؟

هل وصفت مريا في كتابها أزمة العرش المغربي؟ وهل كانت دقيقة في ذلك؟

- ما القيمة التاريخية للكتاب؟

4- الخطة المعتمدة :

اعتمدت في دراسة موضوعي هذا على خطة تحتوي على مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول: ففي المقدمة: قمت بالتعريف بالموضوع، ثم تحديد الإطار الزماني والمكاني، وأسباب اختيار الموضوع وقيمته

التاريخية، ثم تطرقت لأهم الدارسات السابقة التي تخص الموضوع، بعدها أهم الصعوبات التي اعترضتني أثناء الدراسة، وفي أخير نقد وتقيم المصادر والمراجع التي تطرقت إليها في دراسة الموضوع.

الفصل الأول: خصصته للأسرى الأوربيون في المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، وقد حاولت في هذا الفصل إلى شرح موضوع الأسرى من الناحية الدينية، ولأوضاعهم في المغرب الأقصى من خلال كتاباتهم وأهم النماذج من الأسرى الأوربيين والمسلمين، وطرق افتدائهم، وأهم البعثات الدبلوماسية المغربية والأوربية.

الفصل الثاني: فقد تناولت فيه دراسة كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد، حيث قمت بوصف الظاهري للكتاب ثم الوصف الباطني، ثم وضعت ملخصا لمحتوى الكتاب وفي الأخير قمت بنقد وتقيم المصدر.

الفصل الثالث: في الفصل الثالث حاولت استخراج أهم الأحداث التاريخية التي ذكرتها الأسيرة مريا تيرمتلن وقمت بتقسمها إلى أقسام، السياسية والدينية والاقتصادية ولاجتماعية ثم قمت باستخراج أنواع الأفات الاجتماعية التي كانت منتشرة في تلك الفترة، وأخير كيف كانت حياة النساء في القصر العلوي.
الخاتمة: كانت عبارة عن استنتاجات حول موضوع الأسر وأهم الأحداث التي طرحتها الأسيرة في كتابها.

5-المنهج المعتمد في الدراسة :

اعتمدت في هذه الدارسة على المنهج الوصفي التاريخي0 والمنهج المقارن، فالأول اعتمدت عليه في ذكر الوقائع والأحداث من حيث توضيح أوضاع الأسرى، وطرق افتدائهم، أما المنهج المقارن استعملته في مقارنة بين معاملة والحرية الدينة بين الأسرى المسلمين والمسحيين.

6-الدارسات السابقة :

تعددت الدارسات الغربية التي تناولت موضوع الأسرى les captifs، لكن غلبت عليها الصبغة الدينة، ونظرة الغربية الحاقدة على الإسلام والمسلين، لهذا يجب أخذ الحذر عند قراءتها والعمل بيها، لكن في المقابل هناك دراسات مغاربية عربية تطرقت للموضوع من زاوية لأخرى ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

دراسة التي قام بيها الأستاذ والدكتور إبراهيم سعيود، تحت عنوان **الأسرى المغارب في إيطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18 م، ومن القرن 10إلى القرن 12هـ.**

التي ساعدتني في المقارنة بين الأسرى الأوربيون والأسرى المسلمون في بلاد الكفار، حيث تعتبر هاته الدراسة مرجع مهم في تاريخ المغرب العربي الحديث.

-ومن الدارسات الهامة أيضا، الدراسة التي قامت بيها ليلى مزيان الموسومة: بالأسرى الأوربيين في أرض المغرب خلال القرن 17و18م، قمت بتوظيفها في دراسة واقع الأسرى الأوربيون في بلاد المغرب

-Les captifs européens en terre marocaine au xvii et xviiie Siècles.

-وأيضا الدراسة الأستاذ والدكتور جلول بن قومار **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (986هـ-1012هـ-1082هـ1139هـ) /(1578م-1603م-1672م-1727م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، ساعدتني في معرفة أهم منظمات الافتداء الأسرى.

-وأيضا دراسة بن جدو رميصاء بعنوان: **دور الأسرى المسيحين في كتابة التاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل (1672-1727م) الأسير "جرمان مويط" نموذجا**، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث.

7-التعريف بأهم المصادر والمراجع :

اعتمدت في هذه الدراسة على بعض المصادر العربية والأجنبية بالإضافة إلى عدد من المراجع التي وضحت لي بعض الغموض الذي وجدته في المصادر ومن أهمها:

أ-المصادر العربية:

1- تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة

لمحمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي، والذي اعتمدت عليه في دراسة الأحداث التاريخية خلال فترة أزمة العرش، ومقارنتها بما ذكرته مريا تيرمتلن.

2 - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى

لأبي العباس الناصري، حققه محمد عثمان، حيث يعتبر مصدرا هاما في تاريخ المغرب الأقصى، استفدت منه في التعرف على الجانب السياسي وتنصيب السلاطين خلال مرحلة الفوضى.

3- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا على السجلماسي

لصاحبه أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، وهو كتاب يؤرخ لتاريخ المغرب الأقصى الحديث، اعتمدت عليه في دراسة ومقارنة الأحداث التاريخية للمغرب مع ما كتب في المصادر المحلية الأخرى وما تطرقت إليه الأسيرة.

ب–المصادر الأجنبية المعربة والغير معربة:

لمعرفة الأوضاع الأسرى في المغرب، تطرقت لدراسة بعض المصادر الغربية التي كتبت بمنظورها وأرخت للمغرب الأقصى أهمها:

1–كتاب رحلة الأسير مويط

صاحب الكتاب هو أسير فرنسي في المغرب الأقصى يدعى جرمان مويط، حيث استفدت منه في الفصل الأول، لمعرفة واقع الأسرى في فترة مولاي إسماعيل، لكن غلبت على كتاباته الذاتية، فالأسير كان متحاملا ومتعصبا، على المسلمين.

2-كنت عبدا في المغرب (1783–1784)

مذكرات الأسير فرنسي أندريان جاك فولي، الذي تم أسره قرابة السنة، تحمل مذكراته الكره والبغض للمغاربة، حيث نعتهم ووصفهم بالمتوحشين، اعتمدت عليه أيضا في معرفة أوضاع الأسر من كتباتهم.

ج– المصادر باللغة الأجنبية:

لم أتطرق في دراستي إلى عدد كبير من المصادر بالغة الأجنبية استعملت فقط مصدرين وهما

1- DE S. OLON Ambassadeur : RELATION DE L’EMPIRE DE MAROC

وهو عبارة عن تقرير كتبه السفير بيدو سان أولون، من بعد فشله في توقيع معاهدة بينه وبين مولاي إسماعيل، حيث وصف مولاي إسماعيل بأوصاف قاسية وعلى أنه شخصية ظالمة قصد تشويه صورته

2-Daniel Nordman La mémoire d'un captif

مذكرات دنيال نورمان هو أسير وقع في الأسرى من صغره، اعتمدت عليه كا نموذج من النماذج الأسرى المسحين.

ج- المراجع:

1-تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب

للمؤلف محمد الأمين البزاز، حيث اعتمدت عليه في الدراسة الاجتماعية، ووصف المجاعة والطعون الذي إجتاج المغرب خلال أزمة العرش.

2 – قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي

عبد الكريم غلاب، اعتمدت على هذا المرجع في مقارنة وفهم ما جاء في المصادر، وما تطرقت إليه الأسيرة في كتابها.

8-الصعوبات :

لا شك أن أي باحث يتعرض لمجموعة من العراقيل والصعوبات خلال إنجاز دراسته نذكر منها:

-قلة الخبرة والتجربة في مجال البحث العلمي الأكاديمي.

- ضيق الفترة الزمنية المخصصة للإنجاز هذه الدراسة، حيث محددة بسداسي واحد.

- تشعب واتساع موضوع الدراسة الأسر والأسرى في ضل أزمة العرش بعد وفاة السلطان إسماعيل.

-أغلب المصادر والمراجع المتخصصة في هذا الموضوع باللغة الأجنبية ومع ضيق الوقت تعذر على ترجمتها.

-تعذر الحصول على بعض المصادر التي لم تكن متاحة على شبكة الأنترانت مثل كتاب "وصف الاستعباد في مملكة فاس" مذكرات أسير سويدي على عهد السلطان مولاي عبدالله.

- الوضع الصحي خاص بي كان لا يسمح لي بإجهاد نفسي في دراسة الموضوع.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أستشهد بقول العماد الأصفهاني بقوله:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غيرّ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر".

عطية زهيرة:

جامعة غرداية2023/05/31

الفصل الأول:

الأسرى الأوربيون في المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر

الفصل الأول:

الأسرى الأوربيون في المغرب الأقصى خلال القرن 18م

المبحث الأول: مفهوم الأسير والأسرى من الجانب الديني

أولا: تعريف الأسير لغة واصطلاحا

ثانيا: مشروعية الأسير في الإسلام

ثالثا: الأسير في غير الإسلام

المبحث الثاني: واقع الأسرى الأوروبيين قبل وبعد وفاة مولاي إسماعيل

أولا: أوضاع الأسرى الأوروبيين قبل وفاة مولاي إسماعيل

ثانيا: أوضاع الأسرى الأوروبيين بعد وفاة مولاي إسماعيل

ثالثا: أوضاع الأسرى المسلمين في بلاد الكفار

المبحث الثالث: منظمات الافتداء وأبرز الشخصيات من الأسرى وأهم البعثات الدبلوماسية

أولا: أهم منضمات الافتداء الأسرى الأوروبيون

ثانيا: نماذج من الأسرى المسلمين والأوروبيون

ثالثا: أهم السفرات الأوربية والمغربية خلال الفترة الحديثة

شكل موضوع الأسرى الأوربيين في بلاد المغاربة منعرج مهم في ربط العلاقات السياسة والاقتصادية، خلال الفترة الحديثة خاصة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، والمغرب الأقصى فكانت القرصنة أو ما يسمى بالجهاد البحري، مورد هام من موارد خزينة الدولة العلوية، والأسرى هم مجموعة من افراد مسيحيين العقيدة رجال كانوا أو نساء وأطفال صغار يباعون ويشترون كعبيد في لمدن الكبرى والأسواق ينتمون الى عائلات ومجتمعات من مختلف الجنسيات ومعظمهم تم أسرهم في حوض البحر الابيض المتوسط او في المحيط الأطلسي نتيجة معارك بحرية بين الطرفين.

المبحث الأول: مفهوم الأسير والأسرى من الجانب الديني

أولا: تعريف الأسير لغة واصطلاحا

✓ لغة: الأسير في القواميس والمعاجم اللغوية هو الأخيذ والمقيد والمسجون، وفي القاموس هو أنه **"الأسير مأخوذ من الإسار وهو المقيد لأنهم كانوا يشدونه بالقيد فسمي كل أخيذ أسيرا وان لم يشد به وكل محبوس في قيد أو سجن أسير"** [1]

جاء في قاموس المحيط لي الفيروز أبادي أن الأسير هو جمع أسرى ولأسير هو الأخيذ والمقيد والمسجون [2].

ويعرفه ابن المنظور في قاموسه لسان العرب أنه:

الأسير هو الأخيذ واصله من ذلك وكل محبوس في قيد أو سجن هو أسير[3].

والأسير المقيد بحبل ونحوه، مأخوذ من الإسار، وهو القيد، يقال: أسرت الرجل، أي: قيدته بحبل ونحوه، ومن معاني الأسر: الحبس، يقال: أسر يأسر، أي: حبس. والأسير: المحبوس، ويطلق الأسر بمعنى: الشد والإمساك، ومنه سمي الحبل إسارا، لأنهم كانوا يشدون به الأسير، وكل محبوس في قيد أو سجن فهو أسير، والجمع: أسرى[4].

---

[1] نقلا عن عبدالله حميد حسين، "**معاملة الأسرى الحرب في الإسلام والقانون الدولي**"، مجلة جامعة لأنبار للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة جرش في الأردن، م3، ع12، 2011، ص5.

[2] الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1999، ص54.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة-مصر، ص77.

[4] ينظر الجمهرة معلمة مفردات المحتوى الإسلامي: شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:
https://shorturl.at/dkqsN

✓ **اصطلاحا:**

ذكر الماوردي ما نصه عن الأسير:

"فأما الأسرى فهم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأمرهم أحياء فقد اختلفت الفقهاء في حكمهم؛ فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن الإمام أو من استنابة الإمام عليهم في أمر الجهاد مخير فيهم إذا أقاموا على كفرهم في الفعل، الأصلح من أحد أربعة أشياء: القتل أو الاسترقاق وليس له المن ولا المفاداة بالمال"[1]، ومن هنا نستنتج أن الأسير هو المقاتل، والمحارب الذي تم أخذه وألقي عليه القبض في الحرب أو غير الحرب، سواء كان مسلما أو غير مسلم، والأسرى لا يقع على الرجال فقط بل النساء والأطفال وحتى كبار السن.

ثانيا: مشروعية الأسير في الإسلام

كانت من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لجيشه هي التأكيد على حقوق الأسرى ورعايتهم وهذا للجانب الأخلاقي، الذي تحرص على تعليم دين الإسلام، وكان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، الأسوة الحسنة والقدوة العليا في التأكيد على هذا الجانب حت أصبحت هاته الوصايا قواعد، وقوانين تخضع وتعمل بيها الجيوش الإسلامية وتطبقه

والأسر مشروع ومسموح في الدين الإسلامي والدال على مشروعيته هو كل ما جاء في الكتاب[2] والسنة قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [3]

وفي قوله جل ثناؤه: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾**[4]

---

[1] أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدنية**، تح أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص166.

[2] حسين شرفه: **هدى النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأسرى**، في جامعة باتنة، الجزائر، ع8، 2017، ج1، ص76.

[3] سورة التوبة آية 5.

[4] سورة محمد آية 4.

وأيضا من شواهده قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

أما في السنة جاء في مشروعية الأسر: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتم بأمر الأسرى وجعل فكاكهم أحد خصال البر، فقال:

" فكوا العاني – أي الأسير– وأطعموا الجائع، وعودوا المريض"

وحيث على الإحسان إليهم فقال صلى الله عليه وسلم:" **استوصوا بالأسارى خيرا** «، وبعث صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة مناديه يقول:

" ألالا يجهز على جريح، ولا تتبعن مدبرا، ولا تقتلن أسير، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن" [2]

ثالثا: الأسير في غير الإسلام

رغم المبادئ السامية والإنسانية التي جاءت، في جميع الدينات السماوية، ومنها العقيدة المسيحية إلا أن المسيحيين في حروبهم مع الغير، لم يطبقوها ولم يعملوا بيها ففي الحروب الصليبية التي خاضها الصليب مع الهلال، لما كان المسيحين يفتكون المسلمين في غرناطة وفي دول المغرب العربي، ويسوقونهم في أسواق العبيد، ويصبحون عرضة لتعذيب واسترقاقهم حيث ما فعله النصارى الأندلس ضد الأسرى المسلمين عندما ضعفت الدولة الإسلامية وأصبحت في تراجع أما في العقيدة اليهودية، بتسخير الأسرى، إن هم سلموا بلادهم بدون حرب وإذا قاوموهم كان مصيرهم القتل [3].

[1] سورة الأنفال آية 67.

[2] حسين شرفه: مرجع سابق، ص78.

[3] عبد الرحمان: الأسرى بين الإسلام والكتاب المقدس منتديات أتباع المرسلين، شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:

https://shorturl.at/bkAPX

المبحث الثاني: واقع الأسرى الأوربيين قبل وبعد وفاة مولاي إسماعيل

أولا: أوضاع الأسرى الأوروبيين قبل وفاة مولاي إسماعيل

إن الحديث على واقع الأسرى الأوربيين في بلاد المغرب الأقصى، من خلال مذكرات الأسرى الأجانب، في فترة الحديثة، وآرائهم المتعصبة اتجاه السلطان مولاي إسماعيل العلوي وعمل على تشويه صورة السلاطين العلوين بصفة خاصة، والمسلمين بصفة عامة من أجل التأثير على الرأي العالم المسيحي واستعطافهم حول موضوع الأسرى.

تطرق الأسير الفرنسي "جرمان مويط" إلى موضوع، الأسرى وأوضاعهم داخل القصر مولاي إسماعيل، حيث تحدث عن اضطهاد الأسرى الأوربيين داخل القصر وقال بعد اشتداد وانتشاره في المغرب الأقصى، تخوفا السلطان مولاي إسماعيل من أن يفقد عوائد المال التي سيحصل عليها، بعد افتداء الأسرى الأوربيين، التي يأمل على الحصول علها، قام بجمعهم وقال لهم أنه يريد أن يطلق سراح من يستطيع، دفع المال وعدا الأسرى السلطان على دفع المبلغ المطلوب منهم لتسديد ثمن حريتهم، تم ارسالهم إلى عامل السلطان عمرو حدو الحمياني، من أجل استلام المال في 15 يونيو 1680، لكن عمرو لم يتقبل المبلغ الذي اتفقوا مع السلكان عليه، حيث طلب من كل واحد أن يدفع ألف ريال

قال الأسير مويط عن عمرو.

"ولما رأى ذلك البربري امتناعنا من دفعها، قيدنا بسلسلتين غليظتين، زنة كل واحدة منها من ثمانية عشر إلى عشرين رطلا وربطنا مثنى بواسطة سلسلة أخرى، وأرسلنا على تلك الحالة نشتغل في مجار تحت الأرض كان قد شرع فيها لتصريف كنف جميع المنازل الى النهر"[1]. حيث ذكر أن في مدة ثلاثة أشهر، يسلم سوى أربع أواق من خبز الشعير لكل واحد خلال اليوم الكامل، وعند الاعتراض والشكوى من الجوع يتعرضون للضرب، تحدث الأسير مويط عن المحن التي تعرض إليها الأسرى، وذكر كيف أنهم لم يكن لهم أيام راحة ما عدى أسبوعا واحدا في السنة كما يزعم، وهي أيام

[1] جرمان مويط: رحلة الأسير مويط، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، المملكة المغربية، ص 45

الأعياد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى، والمنسابات الدينة الأربعة، المسيحة حيث كان يسمح لهم سادتهم بيها، غير ذلك كانوا يعملون طيلة السنة [1] .

تحدث السفير والمبعوث الفرنسي بيدو سان أولون أو فرانسوا بيدو Françoise pidou في كتابه "**الوضع الحالي لإمبراطورية المغرب**" عن حياة الأسرى في فترة مولاي إسماعيل، حيث قام هذا الأخير بوصف مولاي إسماعيل فقال: أنه قاسي جدا فقد قام بقتل بعض الزنوج بطعنات بسكين وكانت ملابسه ملطخة بدماء الذين قتلهم، وقام بمقابلته على تلك الهيئة كما قال أن وضع النصارى في القصر كان سيئا جدا حيث أن السلطان كان لا يطعمهم، ويعملون لساعات طويلة، ومع ذلك هم ملك للسلطان وأتباعه، حيث يضعهم في حراسة الأبواب أو يرسلهم إلى مدن أخرى أو يشاركون في الحروب ولم يكن يتوفر لهم مكان يعيشون فيه سوي الإقامة داخل أماكن صغيرة المساحة، وأكلهم كان من الخبز المصنوع من الشعير والقليل من الماء [2].

بلغ عدد الأسرى المسحين، في المغرب الأقصى ألفا ومائتين أسير، مقسمة على مراكش وفاس وسلا، مدينة مراكش كانت تحتوي على 200 أسير ومدينة فاس 500 أسير أما مدية سلا 300 أسير، وهذا خلال فترة حكم مولاي إسماعيل، حيث كانت حركة القرصنة [3]والجهاد البحري نشطة قبل تدهورها فيما بعد [4]. سلطت الضوء المؤلفة ليلى مزيان على قضية الأسرى، حيث قالت:" **لاتزال الأسرى سلعة**

[1] جرمان مويط: المصدر السابق، ص46-54

[2] DE S. OLON Ambassadeur : RELATION DE LEMPIRE DE MAROC، paris، chez la veuve marbre cramoisy.M.dc.xcv. P62-76-77.

[3] القرصنة: هي النشاط المعروف في جميع بلدان حوض لبحر الأبيض المتوسط، حيث كان يمارسه المسلمين والمسيحيون، كانت القرصنة عند المسلمين شكل من أشكال الجهاد البحري، أما عند الأوربيون كانت عبارة عن حروب صليبية، يعتبر القرن 16م قرن الجهاد البحري عند المسلمين، ينظر، العربي ايشبودان: **مدينة الجزائر تاريخ العاصمة**، تر ومر، جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص70.

[4] جلول بن قومار، **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (986هـ-1012هـ-1082هـ1139هـ) /(1578م-1603م-1672م-1727م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2016م، ص107.

ذات قيمة عالية في كل من الموانئ المغربية والأسواق الأخرى وعلى شاطئ حوض البحر الأبيض المتوسط سار الألف من الرجال والنساء، القادمين من البلدان الأوربية" [1].

ثانيا: أوضاع الأسرى الأوروبيين قبل وفاة مولاي إسماعيل

بعد وفاة مولاي إسماعيل تراجع نشاط القرصنة والأسرى، بسبب الأزمة الداخلية للبيت العلوي، حيث تميزت هاته الفترة بجمود الكلي لقراصنة سلا، ولم يبق من السفن في تلك الفترة سوى عشرة سفن بتقريب، مرابطة في مدينة سلا والمهدية والعرائش، حيث كانت المياه تنخرها[2]، كما تحدثت الأسيرة الهولندية مريا تيرمتلن عن الاستعباد والعبودية التي وقع فيها النصارى خلال فترة الفوضى والأزمة، بين أمراء الدولة العلوية، حيث وصفت الظلم الذي، عان منه الأوربيين خلال فترة حكم مولاي عبد الله ابن إسماعيل حيث سمته بالملك الديب فقالت عنه :

" **أنه كان يكره النصارى على العمل بقسوة، ويحترس كثيرا من ألا يكون لهم أي زاد كما كان لهم أثناء حكم الملوك الآخرين**[3]"، كان يجبر النصارى على أعمال الشاقة تحت الشمس الحارقة، وفي عهد مولاي الأعرج كانت مريا وزوجها تتعرض للإهانة وزوجها لضرب، حيث قالت "**استدعى الملك زوجي من الباب، وطالبه بالمال فأجابه زوجي أنه سبق له أن أدى مستحقات عدة شهور مقدما، فسبه الحاكم، ونعته بالكافر، وبالبهيمة ذات القرون، وتناول عصا، وأشبعه ضربا**" [4]، تحدثت مريا عن المعاناة الأسر والاستعباد لكن هاته المعاناة هي قطرة في بحر ما كان يتعرض له الأسرى المسلمون في الدول الأوربية، خاصة في إيطاليا حيث كان المغاربة يضطهدون بوحشية وبكل أنواع التعذيب، فكيف لأسيرة ولأسرى أن تكن لهم كل هاته الحرية، في بداية يلفتك العنوان لكن ما أن تعرف محتواه، لا تجد أي شيء دال على العبودية والاستعباد، منح لنصارى ما لم يمنح للمسلمين، وهذا راجع إلى نظرة الاستعلاء، والمكانة التي منحها العرب، للأوربيين، تحدث بعض لأسرى في مذكراتهم التي كانت في

---

[1] . Leila Maziane :" **les captifs européens en terre marocaine،"** au 17/18éme Siècles، in cahiers de la méditerranéen 65،2002، p1.

[2] روجي كواندرو: **قراصنة سلا، تر**، محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، المغرب، ص179.

[3] مريا تيرمتلن: **اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب**، تر وتق بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 2018، ص86.

[4] نفسه، ص71.

معظم الأحيان، تقارير تصف واقع المغرب الأقصى ولأحوال الأسرى الأوربيين، مثل مريا تيرمتلن 1731-1743 والسويدي ماركوس بيرغ 1757، والفرنسي بريسون1784، وأمثلة عديدة، كتب الفرنسي أندريان جاك فولي يومياته في لأسرى في المغرب الأقصى، وهي تعتبر من أبرز قصص الأسر والاستعباد في المغرب الأقصى، التي دونها الأوربيون خلال القرن الثامن عشر حيث تحدث عن أسره واستعباده، فقام بوصف المغاربة بالوحشية حيث كتب مذكراته بين الحديث عن ما تعرض إليه من تعذيب من قبل سيده ووضعه لتقرير عن ثقافة السكان الذين كان بينهم، كما سلط الضوء على تجارة الأسرى وكيف أصبحت تجارة قائمة بذاتها، يتدخل فيها الحكام والقناصل والتجار الأوربيين وكذا السلطان، وكيف كان المغاربة يستغلون شراء الأسرى[1].

ثالثا :واقع الأسرى المسلمين في بلاد الكفار

كان الأوربيون يستخدمون أسرى المسلمين في خدمة المصانع والورشات الكبرى والمباني الدولة، وتم استخدامهم في تجديف في السفن الفرنسية، وهم مقيدون بالأغلال في أعناقهم لا يفتكون منها إلا بعد ضعف حيلتهم وقوتهم عن العمل، حين إدن يباعون في الأسواق ويأخذ الملك نسبة عشرون بالمائة من ثمنهم كضريبة، كما يعملون خدم في بيوت الرهبان والحقول، كانوا موضع شك دائما، يتم اتهامهم بكل جريمة يمكن أن تحدث حيث كانوا موضع اتهام بالسحر والسموم إن وجدت [2] .

كانت النساء الأسيرات المسلمات، خادمات في البيوت حيث لم يسلمن من العذاب وسوء المعاملة حتى بعد إرغامهن على تغير، ديانتهم من الإسلام إلى المسحية وعلى سبيل المثال معاناة الأسيرة من شمال إفريقيا، تدعى فيكتوريا سبينولا، قد أجبرت على اعتناق المسيحية في باليرمو بصقلية، حيث صرحت أمام محكمة كنيسة في باليرمو بأنها لا تريد اعتناق المسيحة، وأنها تعاني من شدة العذاب النفسي والجسدي الذي تتعرض إليه من طرف سيدها وسيدتها، بعد إجبارها على الذهاب إلى الكنيسة

[1] أندريان جاك فولي: **كنت عبدا في المغرب (1783-1784)**، تر بوشعيب الساوري، دار القرويين الدار البيضاء-المغرب، 2017م، ص3.

[2] رميصاء بن جدو: **دور الأسرى المسيحين في كتابة التاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل (1672-1727) الأسير "جرمان مويط" نموذجا، مذكرة** لاستكمال شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2020م، ص40.

قامت بنزع الصليب من عنقها ورمته في الأرض، وبصقت عليه، وقالت لا أعترف بهذا الدين الذي لم يحترمني في الأسر والعبودية، وأمثلة عديدة [1].

لقد أدى توافد الأسرى المغاربة، في دول الضفة الشمالية للحوض البحر الأبيض المتوسط إلى وجود أسواق للأسرى المسلمين في بلاد الكفار، حيث كان عدد الأسواق أكبر من بلاد المسلمين، وهذا راجع إلى النشاط الكبير الذي عرفته تجارة الأسرى العبيد كما جاء في المصادر الأوربية، حيث يتم أسرى في البداية ثم يخضعون للرق على يد المسحيين [2] .

بين هاته الأحداث المأسوية التي مرا بيها، الأسرى المغاربة في إيطاليا خاصة وأروبا على وجه العموم، حيث شعروا بالعجز عن الدفاع عن أنفسهم وذلك لغياب منضمات الافتداء الأسرى المسلمين، على عكس المسحين حيث كانت السباقة في هذا الموضوع ومن الإهانة التي كان يتعرض إليها الأسير المسلم حين كان البابا يرتل صلوات الشكر للسيد المسيح، وهو يستعرض الآلاف من الأسرى المغاربة الذين تم أسرهم في البحر وهم في طريقهم إلى الحج، كانت حالت الأسرى في السجون الإيطالية تلين لها الصخور وتمزق فؤاد الكفور، وتترك الدموع من مدامعها تفور، والقلوب في الصدور تمور [3] .

المبحث الثالث: منظمات الافتداء وأبرز الشخصيات من الأسرى وأهم البعثات الدبلوماسية

أولا: أهم منضمات الافتداء الأسرى الأوروبيون

بعد العمليات القرصنة على السفن المسحية، وأسر ركابها حيث ارتفع عدد الأسرى إلى العشرات الآلاف، من الطرفين المسلمين والمسحيين، ويباعون في الأسواق حيث أصبح الإنسان سلعة تباع وتشترى في الأسواق، نتج عن هذه العملية بعثات دينية مسيحية كانت وجهتها نحوي دول المغاربة، من أجل افتداء الأسرى المسحين، بعد تحرير الثغور المغربية المحتلة من طرف الاسبان، تم توجيه ثلاث مجموعات دينة وهي:

---

[1] إبراهيم سعيود: **الأسرى المغارب في إيطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18م. ومن القرن 10إلى القرن 12هـ**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020، ص190.

[2] إبراهيم سعيود، مرجع سابق، ص204.

[3] نفسه، ص235.

✓ **مجموعة الثالوث المقدس Trinitaires**:

تأسست سنة 1198م، حيث تنسب هذه المنظمة إلى أخوية la sainte trinité على يد كل من سان خوان وخوان فيليبي فلوا.

✓ **مجموعة المرسدير Mercédaires**:

ينتسبون إلى السيدة الرحيمة Notre dame de la merci، التي تم تأسيسها بغرناطة سنة 1218م.

✓ **مجموعة الفرنسيسكان Franciscaines:**

تأسست على يد فرانسواداسيزFrançois d'Assise Saint سنة 1209م وكان هدف هذه المنظمة هو نشر العقيدة المسيحية بين كفار المسلمين نحسب قولهم.

تباينت وتعددت الأدوار التي لعبها رجال بعثات التنصير الاسبانية ومنظمات الافتداء، بين نشر المسيحية وافتكاك الأسرى الاسبان وغيرهم من يد المغاربة كما أهتموا بالرعاية الصحية للأسرى، كما كان لهم دور في العلاقات الدبلوماسية في العلاقات بين المغرب والاسبان [1]

ثانيا: نماذج من الأسرى المسلمين والأوربيين

تعددت المصادر والكتابات الرحالة والأسرى الغربيين، في تناول تاريخ بلاد المغاربة حيث كانت معظم كتاباتهم عبارة عن تقارير، ومشاهدات وملاحظات عن الأوضاع بلاد البربر، وبأخص المغرب الأقصى، لا يمكن أن نقلل من قيمة وشأن هاته المصادر التاريخية، ولا يمكن أيضا الأخذ بيها كثيرا، لأن غلب على كتباتهم الذاتية والتعصب الديني، ونضرة الاستحقار التي نجدها في أغلب وجل الكاتبات الغربية، لكن في المقابل في هاته الفترة كان الأقلام العربية الإسلامية كانت غائبة حيث الأسرى المسلمين لم يحظو بالحرية كما حظى بها المسحين في بلاد المسلمين، وكان في تلك الفترة لا يقيم المسلمين في بلاد الكفار، لأن هذا مخالف لدين في تلك المرحلة لهذا لا نجد مصادر عربية كتبت عن الأوضاع في بلاد، ومن أهم النماذج :

[1] بن قومار جلول: مرجع سابق، ص-ص 106-107.

✓ **الأسير جرمان مويط:**

هو فرنسي الأصل وبتحديد من مدينة باريس، خرج سنة 1670م في رحلة على متن سفينة من مناء دبيب متجها نحو الهند الغربية [1]التي كانت حلم الشباب في تلك المرحلة، انتشرت في تلك عمليات القرصنة في الحوض البحر الأبيض المتوسط، بين المسلمين والمسحين بعد مرور شهرا من الإبحار غيرت الرياح وجهة السفينة، واتجهت إلى الجنوب الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وهناك تعرضت السفينة إلى القرصنة من قبل قراصنة سلا حيث كانت تحمل السفينتين الراية العثمانية، تمت المواجهة بينهما لكن قراصنة سلا تمكنوا من الفوز وهكذا وقع مويط جرمان ورفاقه في أسر على يد القراصنة وتم نقلهم إلى سلا، وتم بيعهم في سوق النخاسة المعروف حتى يوم بالرباط بباب القنانط، وكان من حظ مويط أن اشتراه أربعة أشخاص ثلاثة مسلمين ويهودي عمل خادم في أحد بيوت سادته، ثم في اسطبل، حتى تولي مولاي إسماعيل الحكم عزل الحاكم وستصفى أمواله، وبعدها انتقل مويط إلى خدمة مولاي إسماعيل، وظل في خدمته مدة تسعة أعوام تعلم مويط اللغة العربية والإسبانية التي كانت سائدة هناك، وفي سنة 1681 تم افتداء مويط من قبل الرهبان الفرنسيين، ورجع إلى موطنه بعد أن قضى أحد عشر عاما في المغرب الأقصى بعد مدة سنة كتب مويط رحلة أسره في المغرب الأقصى، حيث تم تقسيم رحلته إلى ثمانية عشر فصلا، وخصص العشرة الأولى إلى لأخبار أسره وما شاهده في المغرب من مدن وأشخاص وعادات، أما الفصول الستة التالية هي عبارة عن قصص أسرى، [2]أخرين من فرنسا واسبانيا والبرتغال والفصلين الأخرين خصصهم للحركة التجارية في موانئ المغرب، وأخير رحلة العودة والافتداء .

✓ **أندريان جاك فولي:**

أندريان جاك فولي هو فرنسي الأصل وقع في الأسرى من قبل المغاربة سنة 1783م خلال فترة حكم السلطان مولاي محمد بن عبدالله [3]، حيث قام بتدوين مذكراته عن رحلة الأسرى القصيرة التي

[1] الهند الشرقية: يقصد بيها أمريكا في تلك الفترة.

[2] جرمان مويط: المصدر السابق، ص-ص 6-7.

[3] هو محمد بن عبدالله بن أسماعيل ولد السلطان محمد بن عبد الله بمكناس الزيتون في عام 1721، نشأ نشأة علمية تحت رعاية والده وعناية جدته خناثة بنت بكار، بعد وفاة المولى عبد الله بن اسماعيل في 1757 م، تمت له البيعة. ينظر: بن عزة أمال وبلوة فوزية، **السياسة الداخلية والخارجية للسلطان المغربي محمد بن عبدالله العلوي 1757-1790م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس ملاينة، 2017-2018، ص21.

قضاها في المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر، حيث وصف المشاهدات وأحداث التاريخية، حيث تم سردها بأسلوب مشوق، عن ثمانية أشهر من الاستعباد في جنوب المغرب حيث أن المذكرات لا تخلوا من المبالغة وانفعالات، وغلبت ذاتية الأسير حيث كانت موجهة بالمركزية الأوربية التي كانت ترى، في غيرها من الشعوب المتوحشة وهذا ما نجده في حديث جاك فولي عن المغاربة الذين استعبدوه[1]

✓ لويس مارمول كرابخال:

هو سائح ومؤرخ إسباني ولد بغرناطة في بداية القرن السادس عشر الميلادي، شارك سنة 1535م في حملة التي شنها شال الخامس، على تونس حيث كان يشتغل ضابطا، في جيشه بقي مرمول في شمال إفريقيا، يقوم بمهمة استخبارات التي كلفه بيها الإمبراطور شارل الخامس، ثم تعرض للأسر من قبل السعدين في المغرب الأقصى، وقضى مدة سبعة سنين وثمانية أشهر عاصر فيها ولاية حكم السلاطين الثلاثة، وهم أحمد الأعرج ومحمد المهدي وعبدالله الغالب، حيث قام بوصف حروبهم وسلمهم ونزعاتهم ووصف علاقاتهم بمنافسيهم من أتراك الجزائر وملوك فاس [2]

يعد كتاب إفريقيا من أهم المصادر التاريخية، التي تناولت تاريخ دول المغاربة عامة والمغرب الأقصى خاصة، في الفترة الحديثة، حيث غلب على الكتاب الطابع الجغرافي والطبوغرافي، قام بتعريف المدن وأماكن المغربية، وهو نسخة طبق الأصل عن كتاب وصف إفريقيا للمغربي حسن الوزان يقول المؤرخون أن مرمول قام بأخذ فصول من الكتاب، وبعد دراسة الكتاب مرمول، نجد التعصب والتحامل على الدين الإسلامي، حيث في الفصل قام ببث صليبيته وعنصريته وقام بشتم تشويه وتزوير لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أستغنى المترجمون على بعض الفصول [3] .

✓ السفير سانت أولون (فرانسوا بيدو) François padou:

ولد سانت أولون سنة 1646م، وهو فرنسي الأصل، وهو سفير حيث كلف بعدة مهمات دبلوماسية في كلا من جنوة ومدريد، كما تم أرساله في بعثة إلى المغرب الأقصى سنة 1693م، من أجل توقيع

[1] أندريان جاك فولي: المصدر السابق، ص3.

[2] مارمول كربخال: **إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي وحمد زنبير ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنحلون، مكتبة المعارف، د، ع، ط، الرباط-المغرب، 1984م، ص-ص4-5

[3] مرمول كربخال: المصدر السابق، ص-ص 3-4.

معاهدة سلم وتجارة مع المولى إسماعيل، لكن المعاهدة لم تنجح لكن بعد فشل المهمة قام بوضع تقريرا، للملك الفرنسي لويس الرابع عشر، كي يغطي فشله من خلال وصف أوضاع المغرب الأقصى.

الكتاب عبار عن تقرير تاريخي جاء تحت عنوان "الوضع الحالي لإمبراطورية المغرب" يحتوي على 261 صفحة، يتكلم عن أوضاع المغرب الأقصى خلال عهد السلكان العلوي مولاي إسماعيل حيث وصف السفير أوضاع قصر السلطان، وتكلم عن بعض قادة السلطان مولاي إسماعيل وتجارة في المغرب الأقصى، والعملات وتكلم عن المرأة والأطفال، وأوضاع أسرى المسحين وقام بوصف الوضع الاجتماعي بدقة[1].

✓ **حسن الوزان:**

هو الحسن بن محمد الوزان الزياتي الفاسي، ويُكنّى بأبي علي، أو ليون الإفريقي الغرناطي وُلِد لأسرة مغربية، في غرناطة بحسب اتفاق المؤرخين، لكن الخلاف كلّه على سنة مولده، فيجعلها البعض عام 901هـ/1495م، وآخرون عام 1500/906هـ، في حين يرجح البعض أن ميلاده كان عام 1483/888هـ، أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات، وهو الرأي الذي يقول به المترجمان محمد حجي، ومحمد الأخضر، في معرض مقدمتهما لكتابه الأشهر "وصف إفريقيا"، نقلاً عن النسخة الفرنسية، هاجروا إلى فاس بعد سقوط غرناطة على يدى الإسبان، درس العلم على يد مشايخ جامع القروين بفاس، عمل منذ الصغر على تحصيل الضرائب وجمعها من قبائل المغرب الأقصى، بعدها تقرب من السلطة وعمل في البلاط وأسندت له المهام السياسية.

وقع في أسر من قبل قراصنة صقلية، في البحر الأبيض المتوسط بقربة، من جزيرة جربة التونسية اقتاده القرصان الصقلي بيترو بوقاديقليا، إلى نابولي بإيطاليا، حيث قدمه هدية إلى البابا ليون العاشر يوحنا الميديسي، الذي كان مولع بالعلوم والآدب فلمس الذكاء والعلم في حسن الوزان فأحسن استقباله وقرر له معاشا وهو في سجنه كل لا يهرب، فاشجعه على اعتناق العقيدة المسحية، علم حسن وذكائه، جعله لا يعامل معاملة لأسير كما باقي الأسرى، ارتدى حسن الوزان عن الديانة الإسلامية، واعتنق

[1] نقل عن تكران جيلالي وزنو صلاح الدين: **جوانب من مظاهر الحياة السياسية والإدارية في المغرب الأقصى أيام السلطان إسماعيل العلوي 1672-1727م، من خلال كتاب Relation de l'Empire de Maroc: ou l'on Voit la Situation du pays**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، م13، ع01، جويلية 2021، ص-ص 96-97.

المسحية سنة 1520م، حيث تم تعميده وأطلق عليه إسم جوهانيس ليو المديسي، أما حسن أطلق على نفسه أسم يوحنا ليون، لكن غلب عليه إسم ليون الإفريقي[1] .

كتابه وصف إفريقيا يحتوي على تسعة فصول، حيث القسم الأولى عن جغرافية إفريقيا ومناخها وخصائص شعوبها، أما القسم الثاني عن مملكة مراكش، القسم الثالث مملكة فاس والقسم الربع مملكة تلمسان، القسم الخامس مملكة بجاية ومملكة تونس القسم السادس نوميديا القسم السابع بلاد السودان القسم الثامن مصر والقسم الأخير عن الأنهار والحيوانات والنباتات في إفريقيا يعد كتابه مصدرا مهم في تاريخ شمال إفريقيا، من الناحية الجغرافية والاجتماعية [2].

✓ الأسير دنيال نورمان (Daniel Nordman):

الكتاب هو عبارة عن قصة، حدث في بداية القرن السابع عشر، لصبي إنجليزي حيث وقع في الأسرى من قبل قراصنة سلا، في طريق إبحاره إلى جنوة، تم القيض عليه في ساحل غاليسيا، بعدها أخذ إلى مكناس، وتم تسليم الطفل، مثل كل الأسرى في تلك الفترة، إلى السلطان مولاي إسماعيل، حيث تربى تربية دينية على الإسلام، وتعلم اللغة العربية، عين مسؤولا على الحدائق، ثم خدمة الملك حيث تم تسليمه مفاتيح القصور الملكية، واستطاع كسب ثقة السلطان، حيث عينه مسؤولا عن السلاح.

طرحت هاته المذكرات العلاقات الإنجليزية المغربية في النصف الأول من القرن السابع عشر، لا سيما في موضوع السفارات الإنجليزية ومسألة فداء الأسرى، في عهد المولى إسماعيل.[3]

ثالثا: أهم السفرات الأوربية والمغربية خلال الفترة الحديثة:

✓ سفارة الحاج محمد تميم1682/1681:

لم تكتب المصادر المحلية عن حياة، سفير الحاج محمد تميم، بالتفصيل، حيث كل ما كتب عنه أنه تولى منصب باشا بتطوان، ثم مدينة سلا وهو أول سفير أرسله السلطان إسماعيل العلوي إلى بلاط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، في 30 ديسمبر 1681م، قابل محمد تميم الملك الفرنسي في

[1] الطاهر خالد: **مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه "وصف إفريقيا"**، مجلة التاريخية الجزائرية، ع04، جامعة الجزائر، 2017م، ص-ص 51-52.

[2] حسن الوزان: مرجع سابق، ص8.

[3] Daniel Nordman **La mémoire d'un captif**، In : Annales. Économies، Sociétés، Civilisations. 41e année، N. 6، 1986. p. 1397

04جانفي 1682م، وتم المفوضات بين السفير المغربي واللوزيين الفرنسيين كولبير دوكراسي وسنيلي، حيث بعد هاته السفارة، تم توقيع معاهدة تجارية بتاريخ 29جانفي 1682م بمدينة سان جرمان أولاي، ومن أهم البنود التي جاءت في المعاهدة:

- توقف مستقبلا كل عمل عدواني بين القوات البرية والبحرية بين فرنسا والمغرب
- لا يجوز لسفن الحربية المغربية، أن تعترض طريق السفن الفرنسية في البحر
- يتم الإفراج على فورا عن كل الفرنسين الذين يقعون في أسر أعداء فرنسا [1]

✓ **سفارة دوسانت أمان إلى المغرب الأقصى:**

كانت هاته السفارة ردا على سفارة محمد تميم إلى فرنسا، حيث كانت تطمح للحصول على موافقة السلطان المغربي المولى إسماعيل على معاهدة سان جرمان، حيث جاءت بنودها لصالح فرنسا، حيث كانت التعليمات لسفير الفرنسي بأن يعد قائمة بالأسرى الفرنسين الذين هم تحت الأسر في المغرب الأقصى، لكن السلطان المغربي مولاي إسماعيل لم تكن له نية في تحرير الأسرى ومن نتائج سفارة أنها فشلت ولم تنجح[2]

✓ **سفارة عبدالله بن عائشة 1699/1698م:**

من أسباب التي أدت إلى هاته السفارة هي توتر العلاقات وتأزمها بين المغرب الأقصى وفرنسا فكتب وزير الحربية الفرنسي "بونشطران"، في مذكراته يقترح الطريقة الجيدة من أجل تحطيم الأسطول المغربي، ولجم قراصنة سلا، حيث أبحرت السفن الفرنسية لمطاردة القراصنة السلاويين وإلقاء القبض عليهم، لكن النتيجة لم تكن لصالح فرنسا، تمكن بن عائشة من العودة إلى سلا بعد أن قام بأسر عددا من الفرنسين، بعد محاولة السفير ابن عائشة توطيد العلاقات مع الملك الفرنسي لويس الرابع بمصاهرته مع المولى إسماعيل، حيث قام بخطبة الأميرة دو كندي، لكن هذا الزواج السياسي لم ينجح بسبب اختلاف العادات والتقاليد .

[1] بن قومار جلول، مرجع سابق، ص-ص 115-116.

[2] نفسه، ص120

بعد انتصارات لويس الرابع في حرب الوراثة، لذلك اضطر المولى إسماعيل إلى الكسب وده واستمالته ليقيم مشروع تحالف معه لذلك قام بإرسال سفار من أجل حل المشاكل العلاقة بين البلدين، لكن لم يكتب النجاح لسفارة ابن عائشة على المستوى الدبلوماسي، لأن وزراء الملك فرنسا كانوا يردون دفع ابن عائشة على توقيع معاهدة بنودها لصالح فرنسا [1].

✓ سفارة سان أمان إلى المغرب 1682م:

لمعرفة وتحليل ما جاء في هاته السفارة من صعوبات وإصدار تعليمات من قبل الملك الفرنسي إلى المبعوث[2] سان أمان قبل ذهابه إلى المغرب الأقصى، من أجل التفاوض حول موضوع الأسرى حيث طلب منه أن يستعمل كل مهارته كي يراوغ المولى إسماعيل في موضوع الأسرى المغاربة الذين تستعملهم فرنسا في التجديف، وإن لم يجد جواب لذلك يتحجج، بأنه لم يسمح له بتفاوض في هذا الموضوع، لكن هاته سفارة لم تنجح حيث صرح السفير أن سبب فشلها في عناد السلطان والمغاربة، حيث قال لم أر أصعب مراسا ومراوغة من المور ويقصد هنا المغاربة [3] .

✓ بعثة الغزال 1760 م:

بعثة الغزال هي من أهم البعثات المغربية إلى إسبانيا خلال القرن الثامن عشر ميلادي، حيث كانت مهمتها الأولى هي فتح باب العلاقات التعاون، وسلم بين الطرفين، وإحصاء عدد الأسرى المسلمين في إسبانيا، لم تحقق هاته البعثة الهدف المرغوب فيه، من إقامة روابط التعاون وتحقيق السلم بين المغرب الأقصى وإسبانيا، لكنها نجحت من إعطاء العلاقات دفعة نحوى التقديم إلى الأمام وتحسين العلاقات مستقبلا، حيث أكسبت المغرب هاته السفارة مكانة دولية، والفضل يعود إلى السفير الغزال الذي كان سياسيا بامتياز، أظهر حنكته السياسية، ومن أهم نتائج هاته السفارة هي تحرير الأسر المسلمين من كفار إسبانيا، وفتح علاقات اقتصادية بين الطرفين [4] .

---

[1] بن قومار جلول: مرجع سابق، ص-ص 127-128

[2] المبعوث: هو كل شخص تم أمره بأداء رسالة، أو مهمة التي أسندت اليه كتسليم المبيع، أو قيض الثمن، أو تسوية خلاف ما، فهو بذلك يبلغ الرسالة فقط...، للمزيد ينظر، **صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام**،دار الكتاب الجديد، ط1، عمان، الأردن 1983، ص13

[3] رميصاء بن جدوا: مرجع سابق، ص-ص 25-26.

[4] بن عزة أمال وبلوة فوزية: مرجع سابق، ص62.

✓ بعثة المكناسي (1779–1780):

جاءت هاته البعثة بعد، تأزم الوضع وتوتره التي عرفته العلاقات المغربية إسبانية، بعد محاولة السلطان تحرير ثغر مليلة كان الهدف الرئيسي لهاته البعثة، هو عقد الصلح وتجديد العلاقات، كما أسندت إليها مهمة افتداء الأسرى في أكتوبر 1779م، انتهت هاته البعثة بتوقيع على معاهدة لصداقة وتجار بين البلدين، عقدت في مدينة أران خويت بإسبانيا في يوم 30ماي 1780م، بعد التفاوض بين الوزير ابن عثمان والوزير الإسباني كوندن فلوريد بلا نكا، حيث تبنت شروط معاهدة 1767م كما تضمنت بنود إضافية أهمها التجارة والملاحة واستقرار التجار الإسبان في الموانئ المغربية مقابل حق الكراء السفن الإسبانية [1].

[1] نفسه: ص64.

الفصل الثاني:

الدراسة الظاهرية لكتاب

اثنتا عشر سنة من الاستعباد

الفصل الثاني:

الدراسة الضاهرية لكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

المبحث الأول: التعريف بالكتاب والمؤلفة الكتاب

أولا: ترجمة عن مريا تيرمتلن

ثانيا: دراسة وصفية للكتاب

ثالثا: أهمية الكتاب

المبحث الثاني: الوصف الخارجي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

أولا: تحليل الواجهة الأمامية للكتاب

ثانيا: تحليل الواجهة الخلفية للكتاب

ثالثا: تحليل تصميم الغلاف

المبحث الثالث: الوصف الداخلي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

أولا: منهجية الكتاب

ثانيا: ترتيب وملخص مواد الكتاب

ثالثا: أسباب تأليف الكتاب وتقيمه

المبحث الأول: التعريف بالكتاب والمؤلفة الكتاب

أولا: ترجمة عن مريا تيرمتلن

زخرت منطقة المغرب العربي في الفترة الحديثة بالعديد من الرحالة الغربيين والأسرة وكان من بينهم الأسيرة الهولندية تدعى مريا تيرمتلن، ولدت مريا سنة 1704 م ذات عقيدة مسيحية كاثوليكية المذهب، في سن مبكر من عمرها، شرعت في التجول في أوروبا، حيث خضعت للتجنيد الإجباري مدة من الزمن ضمن كتيبة إسبانية، بعد زواجها تعرضت للأسر بمكناس في الفترة الممتدة من (1731-1743)، أخر ما عرف عليها أنها استقرت ميدنبليك إلى أن توفيت.

ثانيا: دراسة وصفية للكتاب

عنوان الكتاب: اثنتا عشر سنة من الاستعباد

اسم الكاتبة: مريا تيرمتلن

نوع الكتاب: مصدر

عدد الصفحات :144 صفح[1]ة

حجم الكتاب: متوسط

صيغة الكتاب: pdf

دار ومكان النشر: دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي الأمرات العربية المتحدة

الطبعة: الأولى 2018

ثالثا: أهمية الكتاب

يعد كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد للمؤلفة مريا تيرمتلن، مصدرا هاما في تاريخ الحديث للمغرب الأقصى حيث أن المصدر غطى فترة مهمة، بعد وفاة مولاي إسماعيل العلوي خصوص أن الأسيرة كانت شاهدة على فترة، الفوضة وتمردات جيش عبيد البخاري وما يسمى بالأزمة العرش حيث وصفت الاحداث، وكل ما وصفته وذكرته حول هاته الفترة موجود في، المصادر المغربية المحلية حيث

تكمن أهميته العلمية والتاريخية، في المعرفة المطروحة فيه، فقد أضاء جواب مهمة كانت شائعة في تلك المرحلة وهي فترة القرن الثامن عشر.

المبحث الثاني: الوصف الخارجي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

أولا: تحليل الواجهة الأمامية للكتاب

الكتاب من الحجم المتوسط جاء بتغليف عادي، ينتهي ترقيمه إلى الصفحة 144 في الواجهة الكتاب (اثنتا عشر سنة من الاستعباد) نجد أن الأسيرة (مريا تيرمتلن) اختارت اللون الأسود للواجهة الأمامية للكتاب الصفحة الأولى سوداء الون تحتوي على معلومات الكتاب، حيث على يسار الواجهة جزء الأيمن من الواجهة صورة فتاة، أما في الأعلى الواجهة في الوسط كتب بالون الأبيض والخط الرفيع، كتب اسم المؤلفة "مريا تيرمتلن" أما أسفل منه كتب بالون البني الفاتح والأحمر عنوان الكتاب " اثنتا عشرة سنة من الاستعباد "،و أسفل منه كتب بالون الأبيض "رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743 م ثم أسفل منه كتب اسم المترجم "بوشعيب السواري "وأسفله كتب بالون البني "مكتبة 295"،أما في الأخرى الواجهة في الوسط وعلى اليمين الواجهة شعار دار النشر .

ثانيا: تحليل الواجهة الخلفية للكتاب

على الخلفية الواجهة في النصف الأيسر من صورة الفتاة، وفي وسط الواجهة إطار كتب في داخله بالون الأبيض اقتباس من رحلة الأسيرة، وأسفل منه في أخر الواجهة على اليمين شعار كتب بداخله ارتياد الأفاق، وأسفله شعار دار بيروت، اما على اليسار الواجهة شعار لوزارة الثقافة للمملكة المغربية، والموقع الإلكتروني ورقم الفاكس وفي أخر الواجهة في المنتصف شعار لمنشورات المتوسط.

ثالثا: تحليل تصميم الغلاف

الغلاف واحد من جملة العوامل التي تلعب دورا في إبراز محتوى الكتاب وقيمته، حيث يوضح مجموعة من دلالات للقارء، كما أن الغلاف يعد عنصر جذب ولفت الانتباه، فالغلاف يحمل دلالة ترتبط بعنوان الكتاب والمتن، كما اختيار درجات ألوان لهو معنى للعنوان.

المبحث الثالث: الوصف الداخلي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

بعد الغلاف الخارجي للكتاب نجد أول صفحة تشتمل، عنوان الكتاب "اثنتا عشر سنة من الاستعباد" وفي نهاية الصفحة نجد ايطار مكتوب في داخله «مكتبة 295" ثم تليه صفحة بيها معلومات الكتاب والكاتب، ثم صفحة استهلال وبعدها تليها صفحة التقديم، وترجمة عن المؤلفة والمقدمة ثم فصول الكتاب.

أولا: منهجية الكتاب

تعتبر لغة كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد، للأسيرة الهولندية مريا تيرمتلن واضحة وبسيطة يتخللها بعض الأساليب القصصية الأدبية الركيكة، ويعود ذلك لأنها أعجمية لا تجيد اللغة العربية فا الكتاب عبارة عن رواية.

ثانيا: ترتيب وملخص مواد الكتاب

يعترض كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد للأسيرة الهولندية "مريا تيرمتلن " على يومياتها التي عاشتها في الأسر في المغرب الأقصى، فالنسخة المترجمة التي هي موضوع الدراسة تحتوي في البداية على استهال ثم التقديم ثم مقدمة المترجمة الفرنسية ثم قسم الكتاب الى ثمانية فصول وهي كتالي

الفصل الأولى: **التجول في أوربا والزواج**

الفصل الثاني: **وصولنا الى سلا**

الفصل الثالث: **نهاية الولاية الأولى لحكم مولاي عبد الله**

الفصل الرابع: **حكم مولاي علي الاعرج**

الفصل الخامس: **الولاية الثانية لحكم مولاي عبدلله**

الفصل السادس: **حكم مولاي المستضيء**

الفصل السابع: **الافتداء والعودة الشاقة الى الساحل**

الفصل الثامن: **رحلة العودة**

✓ **ملخص فصول الكتاب:**

خصصت الاسيرة الفصل الأول، للحديث عن الرحلة وتجولها خارج بلادها من السن الثالثة عشر في أوربا، حين كانت مريا في سن العشرين سنة قامت برحلة قصيرة، من فرنسا الى مدريد ثم تحدثت عن قصة تنكرها بهيئة رجل، ودخولها الى الجيش في مدينة تدعى سيكتوريا ثم ،تم اكتشاف أمرها ثم توجهت برفقة زوجة حامل اللواء الى مدريد، وبعد بقائها مدة معتبرة تزوجت بقبطان هولندي يدعى "كلاس فان دير مير".

هو من مواليد بلدة ألكمار في أكتوبر سنة ألف سبعمئة وثمنيه وعشرون م، وبعد رحلة التجوال التي قام بيها الزوجين قررا ان يعود الى بلدهم الأم هولندا، لكن القيطان كلاس كان متورط في دعوى قضائية بسبب سفينته وتم الحجز عليها وتأجلت رحلة الى هولندا وبعد مرور الوقت تبين لزوجين ان القضية لم تنتهي، قررا السفر الى اشبيلية وبقيا هناك مدة من زمن ثم سافرا نحوى مدينة سان لوكار اخذى قارب أخرى ثم الى كاب فانسان وبعدها تحدثت عن وصولها هي وزوجها الى هولندا وتعميد[1] كلبها حيث قامت بإهداء الخمر وريكسدالين [2]من اجلها هي والكلب فهذه العادة لمن لم يسبق له المرور من بارل بعدها تطرقت الاسيرة الى سرد كيف وقعت في الاسر حيث قالت عندما كانوا على البحر ذهب الحارس المكلف بالمراقبة يدعى نوتي وقام بالمراقبة من سارية السفينة ولم يلاحظ أي يشيئ، ثم خرج المكلف بالغسل الصحون واذى يقوم بمناداتي أنيسة أنسة توجد هناك سفينة ثم قامت بالنضر فاللاحظة سفينتين بصعوبة استطاعوا التعرف عليهم وضنت انهما مغربيتان في الأولى وبعد الاقتراب منهم عرفت أن هناك معركة بين سفينة مغربية وأخرى فرنسية وعندما لاحظ قبطان سفينة المغربية سفينتنا اطلق سراح السفينة الفرنسية .

طلب قبطان السفينة من الموجدين ان يأتوا لسفينتهم مع جوزات السفر وعندما سئل قبطان السفينة الهولندية من اين انتم جاوبه المغربي من الجزائر، بعد ان استولوا على السفينة طلب زوج مريا منها ان تهرب مع بعض رجال الذين اخذو القارب والسلاح لكنها رفضت ذلك تمكنا قارب من

[1] –التعميد: كلمة تعميد مشتقة من اللغة الإغريقية، وتعني التقديس الذي بواسطته تغتفر الخطايا والذنوب التي اقترفت في الماضي، وأما التي تقترف في المستقبل فتمحى بواسطة الاعتراف، التي تتم داخل الكنيسة، نقلا عن: إبراهيم سعيود: مرجع سابق. ص255.

[2] – ريكسدالين: مفردها ريكسدال هي عملة فضية قديمة كانت رائجة خلال القرن السادس عشر في هولندا، ثم انتشرت في العديد من المدن وبلدان شمال أوربا، ينظر هامش: مريا تيرمتلن، ص25.

الفرار واعلن قبطان السفينة استسلام، طلب زوج مريا منها ان تختبئ قبل صعود المغاربة الى السفينة واختبئت هي وكلبها، وبعد ان وضعوا اقدامهم في السفينة وصعدوها قاموا بالنهب واستولوا على ثياب زوجها والقبطان وركاب، ثم دخل زنجي[1] الى القمرة وقام بنهبها واخذ المجوهرات والحلي الذي اودعته الدوقة ربيردا كي توصلها لي ربيبتها لم يكتشف الزنجي مخبأها بعد مدة من الزمن سمعت مريا زوجها يناديها فصرخت صرخة قوية سمعها المغاربة الذين اندهشوا من اين خرجت، في اليل اخذو المغاربة مريا والموجودين معها الى سفينتهم ثم تحدثت عن استخفاف بيها هي واصدقائها والعبث بملابسها وشرب قرب الخمر الخاصة بيهم وهنا تقول الاسيرة انها لم تذرف دمعة واحدة. ثم تحدثت عن استمالت القبطان المغربي ارجاع بعض أشياء الخاصة بها كما تحدثت عن الجو المرعب في تلك السفينة قالت مريا ان القبطان المغربي كان يهتم بيها بنفسه ويعاملها معاملة حسنة واحضر اليها الزنجي الة موسيقية كانت تغني معه هي كانت تغني بإسبانية وهو بالعربية، كانت تأخذ بقايا الطعام الى زوجها ومن معه وبعد فترة من الزمن وصلت السفينة الى مدينة سلا في نهاية شهر يوليوز

اما الفصل الثاني خصصته الاسيرة لي الاحداث عند وصولاها مدينة سلا فتطرقت الى حيث قالت عند وصولهم استقروا ببيت الحاكم وسألها التجار عن دينها فقالت بروتستانتية اخفت دينتها الكاثوليكية خوف على زوجها، اكدت الاسيرة ان طول إقامتها بسلا لم ينقص عليم شيء.

لإن القبطان وعدها واعطاها ملابس وحلي رخيص، وصليب ذو حجر مزيف ونبيذ ثم تم نقل الاسيرة الى مكناس التي كان بيها مقر الحكم (العاصمة) وجدوا في استقبالهم رئيس معشر الأسرى الهولنديين يدعى "بيتر" وتم أخذهم الى بيت مغربي حيث مكثوا مدة من الزمن الى ان تقابل الملك

ثم تحدثت عن النبوءة حيث كانت مريضة واتت لزيرتها الكهنة ثم توسطت لها عند الباشا كي تسكن في بيت المراءة اسبانية وهذا ما حصل حيث قام بيتر بنقلها وقبل ان يأخذها اوصاه زوج ماريا بان يعتني بيها ويتزوجها بعد موته هذا ما يحصل فيما بعد ذهبت ماريا الى بيت الاسبانية واستقبلتها استقبال جيدا، حان الوقت لي ذهاب الى الملك ومقابلته ذهبت ماريا وزوجها ومن معها الى القصر وتم اعفاء مريا وزوجها من الخدمة الملكية لان زوجها كان مريض.

[1] الزنجي: أصل كلمة زنجي هو من زنج، وزنج أطلق على الساحل الشرقي لأفريقيا، أي إشارة إلى شخص من هذه المنطقة الجغرافية. وهم السود الذين احتك معهم العرب، ينظر: **الحاسوب**: شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:
https://shorturl.at/hqCE6

اما الباقي تم تسليمهم العمل داخل القصر عادت مريا الى بيت الاسبانية، زاد المرض على زوج ماريا ثم تحدثت عن أم الاسبانية وكيف كانت تروي لها قصصا حيث قالت استفدت من حكايتها فيما بعد وبعد زيارتها الى زوجها المريض في الدير قام بطلب كتابة وصيته وحاول الكهنة إقناعه بتغير مذهبه الى انه رفض وبعد سعات قليلة مات زوج مريا، وقالت بالرغم من انني لست سيدة نفسي وفي بلد أخرى الى اني طلبت من النصارى دفن الجثة، كانت ماريا متخوفة من رعايا الأسرى من بلدان أخرى ان يطالبون الملك بقوة مالهم أخذها، فقررت البحث عن زوج هولندي كاثوليكي المذهب

لكن من صعب أن تجده، وفي 9 من سبتمبر اختارت ماريا رئيس معشر الأسر "بيتر" زوج لها وبعد اقناع ماريا له وافق على تغير مذهبه لكن كان من المستحيل للنصارى الزواج في المغرب دون سماح الملك لهم وهذا كان عائق في طريق بيتر وماريا فهم ملك للملك ذكور واناث بعد عودة مريا الى منزل الاسبانية اخبرتها عن زواجها فغضبت هي وزوجها جان كاطلانا الذي كان يعمل في قصر الملك ويقوم بمهمة توزيع السلاح على الجنود ، لانهم كانوا يردون تزويجها من أحد الأسري الذين تقدموا لخطبتها وكان لديهم الكثير من الأموال، لم تسلم مريا من مضايقات الاسبانية وزوجها عرضو عليها أسير يهودي هولندي لديه أموال ويدير حانة ولديه علاقة جيدة مع لباشا لكنها رفضت وتمسكت في رئيس معشر الأسرى الهولنديين رغم كل المضايقات والاهانة تم عرض قضية مريا على الملك من طرف الكهنة حيث استدعها الى القصر، وعند معرفة المراءة الإسبانية قامت بنزع ثياب مريا واعطتها ثياب بالية كي لا تظهر جميلة أمام الملك لان مريا حسب قولها كانت فتاة حسناء، ذهبت مريا بتلك الهيئة مع كلبها وقيثارتها لمقابلة الملك دخلت مريا القصر ثم جناح الملك حيث وصفت المكان بدقة وكيف وجدته.

حيث قالت" كان الملك[1] برفقة 50 امرأة في غاية الجمال مطليات الوجوه ولابسات كما المعبودات ذوات جمال استثنائي وكانت كل واحدة منهن تمسك بألتها الموسيقية تعزفن وتغنين لحنا في غاية الجمال ثم قالت كان للملك أربع زوجات شرعيات جالسات تتلألأن بالمجوهرات كان الملك يضع رأسه على ركبة زوجته ورجليه على ركبة الزوجة أخرى وواحدة أمامه وأخرى خلفة طلب الملك منهم إيقاف العزف وطلب من مريا الاقتراب لكنها لم تفهم ذلك ثم أشار عليها بان تعزف بالقيثار فعزفت مدة من الزمن ثم سألها من اين هي ويجب ان تغير دينها وتدخل اسلام لكي تكون زوجة له بعدها دخلت امرأة على الملك وأخذتي حيث طلب منها الملك ان تغير دين مريا، وكانت تلك المرأة المسؤولة على تزين الجواري

[1] تقصد مولاي عبد الله ابن السلطان مولاي إسماعيل.

البكار للملك، أدخلت المرأة مريا الى قاعة كانت بها اربع شبات هناك وكان من بينهم شابة مرتدة (مهتدية) تتحدث قليل اسبانية قالت لها ان الملك طلب منها ان تدخلها الى اسلام وسوف تلبس احسن من زوجاته من ثياب ومجوهرات وتصبح خطيبة الملك وهددتها أن لم تقبل سوف يحرقها وينزع لحمها لم تفهم ذلك سوى بإشارة فاردت عليها مريا أيضا بإشارة.

بان الموت اهون عليها من تغير دينها، فقاموا بضربها وشتمها ثم البسوها ثياب فاخرة ووضعن تاج على رأسها واشارة لها بنطق الشهادة لكنها بقيت متمسكة في قرارها فقاموا بنزع الثياب ومجوهرات وبصقن عليها لكن كل ذلك لم يؤثر فيها، تقول الأسيرة بينما كانوا يتناولون الطعام قمت بصالاتي تظاهرت مريا امام النسوة بانها حامل ومريضة، لكي تتخلص منهم قالت مريا بعد حيلة الحمل لاحظت انهم تغيروا وأحسنوا معاملتيها وأشفقن علها، تحدثت الأسيرة عن المخصيين الموجودين لخدمة وحراسة حريم الملك ويطلق عليه اسم "الخلاسيون" [1]كان أحد المخصيين يجيد قليل اللغة الإسبانية حيث طلبت منه مريا أن تقابل الملك واخبرته أنها حامل ومريضة تريد العودة الى اخوانها النصارى المثول بين يدين الملك ومقابلته، قابلت مريا الملك وتوسلاته فاكنت كل مرة تركع عند ارجله وتطلب منه أن تبقى على ديانتها فأخبرته أن قطع رأسها أهون عليها أن تصبح مسلمة ثم أخبرته النسوة أن مريا حامل، عفى الملك عن مريا وأخبرها أن أربعة رجال يردونها شرعت النسوي قي تعبير عن فرحهن بإطلاق الزغاريد وطلبن من مريا زيارتهن من جديد، بعد خروج مريا من القصر رأت حرس الملك كلهم مسلحين ولا يوجد بينهم أي نصراني، تخوفت ماريا من الذي شاهدته وقالت أن سوف تقتل الإن الملك لا ثقة فيه حسب قول مريا أنه كان طاغية فاقتل 12 نفرا قبل الفطور شيء عادي وغير مهم، قابلت ماريا جان كاطلانا وأخذها إلى غرفة النصارى الذين هم مكلفون بتوزيع السلاح بعدها تقول وجدت نفسي مرة أخرى مقابلة الملك وجلست أمام باب غرفته لتعزف على القيثار، كان الملك برفقة بإخوته والباشا يأكلون بالداخل البطيخ الأحمر وكان جد سعيد في تلك الحظة، بعد العزف مدة أوقفها الملك طلب من النصراني أن يسالها عم ترغب في الزواج منه فأجبته مريا بأنها ترغب في الزواج من رئيس معشر الهولنديين وذكرت اسمه بيتر كي لا يتم خادعها طلب الملك من الحاجب أن يحضر بيتر كي يسأله اذا

[1] المخصيين: هم من العبيد المولدين مخصيين أو تم إخصاؤهم لاحقا، كانت بعض القبائل في إفريقيا تقوم بإخصاء ذكور أعدائها بعد هزيمتهم في الحرب، ويتم بيعهم في سوق العبيد، كما بعض التجار يأسرون الزنوج ويقمون بإخصائهم لبيعهم بعد ذلك، حيث كان المخصيين، يشكلون حلقة وصل قسم الحريم في القصر والعلم الخارجي، للمزيد ينظر: أكرم بوغرا اكينجي: العربية DAILY SABAH، 2017.

كان موافق، أكدا بيتر موافقته للملك وقال له إن كان ذلك يرضي الله وجلالته فقبل الملك زواج مريا وبيتر ذهبت مريا وبيتر إلى دير كهنة حيث تم تعميد بيتر إلى الكاثوليكية[1]

ثم تم زواجهم بعد زواج بيتر ومريا عادت إلى بيت الإسبانية لكن لم تسلم مريا من مضايقات اهل البيت حيث عملوا على إيقاع بين مريا وزوجها.

تطرقت الأسيرة في الفصل الثالث إلى نهاية الولاية الأولى لحكم مولاي عبدالله 1731-1734م خصصت ماريا عن الحديث على البحث عن منزل للإقامة به هي وزوجها حيث كانت هي وزوجها كالغرباء، ذهبت مريا وزوجها إلى اليهودي كان يسكن عند الباشا طلبت مريا أن يجد لها بيت للكراء، سكنت ماريا وزوجها في إسطبل مع اقتراب عيد الميلاد 1732م أرسل السفير الهولندي في القصر الإسباني السيد فرانز فان دير فار مير 50 ريكسدالا إلى مريا فرحبت بيه لإنها كانت بحاجة إلى ذلك المبلغ لإنها كانت حامل بإنها الأولى في شهر أفريل حصلت مريا على بيت جديد، بعد عودة أم الملك، [2]من الحج حيث تزامن مع مجيئ تاجر فرنسي إلى سلا مع هديا الافتداء .

الأسرى الفرنسين، وقع الاختيار على مريا كي تحمل الهدايا وطلب التحرير إلى أم الملك حيث استغلت مريا الفرصة وطلبت من أم الملك منزل، انتقلت مريا إلى البيت الذي أعطته الملكة لها حيث قامت ببعض تصليحات فيه، ثم تحدثت عن تسيرها للحانة حيث استقروا في بيت الباشا وكانت الحانة ملحقة للبيت وكان العمل بالحانة جيدا، في صباح يوم من الأيام كما العادة كان الباشوات والقادة مصطفون أمام باب القصر أمر الملك جرسه أن يجلسوا الباشا أمامه وأمر بتهشيم رئيسه فمات على إثرها ذلك الباشا، تمت مصادرة بيته والأسرى التابعين له من طرف الملك، وأجبرت مريا على ترك ذلك البيت، سعت مريا كثيرا لمقابلة الملك وذهبت يوم الجمعة لمقابلته فوجدته في المسجد، انتظرت مريا الملك

[1] الكاثوليكية هي أصل كلمة (كاثوليكي) هو اللفظ اليوناني (كاثوليكوس)، وتعني العالمي او العالم، أي انها الديانة العالمية العامة، ويمثل الكاثوليك أكبر تجمع نصراني في العالم، ويقود هذه الطائفة أسقف روما وهو البابا مقره دولة الفاتيكان وتسمى أيضا بالكنيسة الغربية اللاتينية. ينظر: محمد بن علي آل عمر: **الطائفة الكاثوليكية فرقها- وعقائدها-وأثرها على العالم الإسلامي**، إجازة أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007، **ص**63.

[2] تقصد هنا الملكة خناثة بنت بكار صاحبة النفوذ الساسي، تذكرها المصادر التاريخية باسم خناثة بنت القائد بكار بن علي بن عبدالله المغافري من قبيلة المغافر باليمن، وتعرف أيضا باسم أم العز، تنتمي إلى عائلة عريقة متعلمة وذات حسب ونسب، هي أم الملك عبدالله وجدة الملك محمد بن عبدالله مثبت أركان الدولة العلوية. ينضر: حسن ريش: **الدور الاجتماعي للمرأة بالمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ و18م من خلال وقفيات الأميرة خناثة بنت بكار، مجلة قضايا تاريخية**، ع12، ص63.

وقابلته وطلبت منه بيت فاستجاب الملك لطلبها وأمرى أن يعطوها بيت وعملا لزوجها، بعدما ذاع صيت مريا وشجاعتها بين المغاربة أكسبها احترام وتقديرا واحتمت مريا بالملك ولم تيأس المراءة الإسبانية من مكايدها لمريا لكن لم تنجح في مخططتها.

تناولت الأسيرة في الفصل الرابع تنصيب مولاي علي الأعرج[1] على كرسي العرش الدولة العلوية وذلك سنة 1735-1736م، ذكرة الأسيرة أن مولاي عبدالله لم يبقى مدة طويلة في الحكم وقبل إزاحته من على كرسي العرش قابل السفير إنجليزي يوم 11أغسطس 1734م حيث كان يبحث عن أسرى إنجليز، كان ذلك يوم عيد الأضحى، وكانت هناك عادة حيث أن تبقى الأضحية على قيد الحياة إلى أن تصل القصر وتوضع الأضحية على بغل سريع ويذهب إلى القصر إن ماتت الإضحية فسوف فإن الملك لن يستمر طويلا بعد وضع الكبش على لبغل وتعثر بيها فشاهدو كبار الدولة ذلك وتنبؤ بقدوم ملك جديد وهذا ما حدث لاحقا، بعد احتفال الملك بالعيد قابل السفير وقدم إليه الهدايا حيث أعطاه لائحة بالأسماء الأسرى وأخذهم في نفس اليوم، كان في تلك اللحظة تاجر هولنديا يدعى جوزيف ريبيكسو، قام بمفاوضة ملك حول ثمانية أسرى من بينهم قبطان سفينة مريا، تم خلع الملك وتنصيب ملك جديد على المغرب وهو مولاي علي وهروب الملك المعزول، صفته مريا بالطاغيا مكروه لدى النصارى، لم يلغي علي الاتفاق على تحرير الأسرى الثمانية وتم تحريرهم، تقول الأسيرة أنها عانت من مضايقات أخ الملك الجديد ومن حكام المدينة الذين أجبروها على دفع الضريبة للبيت، قام الحاكم بضرب زوج مريا وهددته بشكايته لدى الملك، لكن زوجها قال لها بأن الملك طاغية سوف يقتلك دون أن يسمعك، لم ترد مريا على كلام زوجها وذهبت لمقابلة الملك، وبينما ماهي تنتظر الملك قدم أسير من دونكيرك مع مغربين لتسليم سلسلة من الأسود ودببة فاقترب منه الملك وقال ماذا يريد هذا الكافر؟ إذهبوا وشتموه إن كان مخمورا، لم يتجرأ الرجلين القول شيء سوى "لقد شرب الكحول، فاحت منه رائحة ماء الحياة "

أطلق النار على ذلك المخمور وسقط قتيلا بعد أن شاهدت مريا ما حصل هربت نحوي المدينة خوفا من أن يأتي دورها، كان الملك مستبدا داخل القصر حيث قام أعدم الكثير من النصارى وقام بدفنهم تحت أشجار الزيتون، ثم تحدثت عن الغلاء الذي سادا المملكة، تحدثت عن صداقتها لأخت

[1] –هو ايو الحسن علي بن إسماعيل الملقب بالأعرج، تمت بيعته على يد سالم الدكالي وبعض من قادة جيش العبيد، واتفق على بيعته الفقهاء والأعيان، حيث كان بسجلماسة لما وصلته البيعة. أنظر: مريا تيرمتلن: المصدر السابق، ص71.

الملك حيث كانت تذهب إليها لكن كان أخ الملك يعترض طريقها ويهددها بسكين ويضعها على صدرها ويقول "ادخلي الإسلام، والا سيخترق السكين صدرك " وتقول مريا أنه كان يعنفها ويضربها، وكانت مريا لا تستطيع ان تشتكي للملك لإن نصارى في تلك الفترة أقل شأننا من اليهود، تقول ماريا إذا شرب أحد كبار الدولة ماء الحياة فهم النصارى من يدفعون الثمن، فتغلق حانتهم ويدفعون أموال، تحدثت عن قصة صاحب الحانة جون بيزول من معشر الأسرى الفرنسين حيث قدم الى حانته مجموعة من المغاربة ومعهم طفل وطلبوا غرفة، لكن جون رفض فهددوه بالانتقام منه، بينما هو نائم في فراشه أخذوه إلى الملك ولفقوا تهمة له فاطلق عليه النار لكن لم تصيه أي رصاصة فطلب الملك من أن يأخذوه إلى القنوط ويجردوه من كل شيء لأن الملك كان معاديا لتلك أفعال، توسط لجون الكهنة ودفعوا أموال من أجل تخليصه، في يوليو 1735م تم إرسال زوج مريا بيتر إلى مدينة سلا من أجل التفاوض مع ليانسلاجر، حيث قدم من أجل تحرير الأسرى الهولنديون وذلك قبل عزل ملك عبدالله، حين عرف ليانسلاجر أن أصبح للمغرب ملك جديد كان قد وصلا مدينة سلا فلم يستطع النزول دون الرجوع إلى سادته . حيث حاول زوج ماريا إقناعه بالمقابلة الملك لكن المبعوث رفض، أرسل المبعوث لائحة بالهدايا المخصصة للملك وكانت قيمة، قابل الكهنة البرتغاليون الملك رفقة السفير الخاص بيهم، وقدموا بعض الهدايا المتواضع كا أواني خزفية وسكر والشاي ومربى، تقول مريا أنها لم تكن تساوي شيء أمام هدايا الهولنديين، فتم تحرير 73 أسير من البرتغاليين، تقول مريا أنهم أصابهم حزن كبير عند ذهاب الأسرى البرتغاليين وهم لم يتم تحريرهم.

استدعى الملك زوج مريا للعودة إلى مكناس وهو في كامل غضبه، بعد فترة من الزمن مرض الملك فطلب أن يحضروا إليه طبيب نصراني، فقدم إليه الطبيب دواء مسهلا، وطلب منه أن يرتاح ويبق في دفء حتى لا يؤثر عليه مسهل ويسبب له ضررا، لكن الملك قام بعكس ما طلبه منه الطبيب، وتفاقم مرضه واشتدا عليه الوضع، فطلب الطبيب مرة أخرى مع بعض أطباء المغاربة وسأل عن الدواء الذي أخذه، فعرف الطبيب الدواء أكدا أن الملك هو السبب تفاقم المرض لأنه لم يأخذ بكلامه، انفعل الملك وغضبا وقال "أتريد قتلي؟".

دفع الملك الطبيب ثلاث خطوات إلى الوراء، وقام بإطلاق النار بندقيته وأرداه قتيلا وأمر رجاله كلهم بأن يطلقوا عليه، حتى أصبح من صعب التعرف عليه وحملوه إلى مكان خاص بأنصاري، وفي تلك الحظة تذكر الملك زوج مريا وقال "أين ذلك الكافر الذي ذهب للقاء السفير الهولندي، أخيه

النصراني؟" فأخبره بمكانه، وأرسل حرسا لكي يلقى نفس مصير الطبيب، لكن لحسن حظ مريا وزوجها لأن الملك تفاقم عليه المرض وستغرق إحضار بيتر من سلا ستة أيام، وكان الملك لا يستقبل أحدا سوى إخوته، وصل بيتر إلى مكناس ولكنه لم يقابل الملك في تلك الفترة، اتفقوا الكهنة ورئيس مصنع الحديد ملك أن يخلصوا بيتر ويقدموا هديا للملك، كي لا يقتله بعد تقديم الهدايا للملك عفى عن زوج مريا، واجها الملك في تلك الفترة تمردات حول العرش "أزمة العرش" إذ وقع انقسام بين مؤيدا ومعارض للملك، ومن كان يرغب بملك جديد وهذه رغبه النصارى حسب قول مريا، لأن لا أحد منهم كان قادرا ضمان حياته، حيث ضيق عليهم وأغلق حاناتهم وتقول أنهم كانوا يبيعون الخمر خفية تقول الأسيرة أنه حدث تغير بين الزنوج وهنا تقصد جيش عبيد البخاري[1] حيث، انقسموا فكان من يرغب بملك جديد ومن يردون علي الأعرج ملك أما سكان البوادي رفضوا دفع الضرائب ما أجبر الملك إلى قيام بحملة لتأديبهم، وكانت في 24 أفريل1736م، عادا بسرعة وودع زوجته وأبناءه ثم فر رفقة أخيه وابنه، ساد الخوف بين الأسرى خوفهم من نهب وسرقة التي يقوم بيها عبيد البخاري، فافي ذلك اليوم تم تنص أربعة ملوك، كانوا ينصبون ويخلعون الواحد تلو الاخر، تقول مريا بقينا بلا ملك بضعة أيام وفي يوم 8 ماي 1736م أعلن أن مولاي عبدالله ملكا جديد على المغرب، ذهبت مريا لتهنئة أم الملك "خناثة بنت بكار" التي كانت مسجونة أخبرتها أن ابنها أصبح ملك، بعد عودة الملك من تطوان لم يمكث الملك بقصره مدة طويلة حيث ذهب، خارج المدينة إلى قصر المصيف وأخذا الأسرى معه من أجل حفر منجم لم يبقى سوى مريا وطفلها ومراءة الإسبانية وأمها والكهنة بديرهم .

أجبر الملك الأسرى على الأعمال الشاقة تحت الشمس الحارقة، ولجأت مريا إلى الدير وبقية هناك مدة من الزمن، بعد عودة الباشوات من الحملة توسلت مريا أليهم من أجل فتح حانتها من جديد فوافقوا على ذلك وتم فتح الحانة من جديد، بعدها تم خلع الملك عبدالله وتنصيب ولد عربية ملك على

[1] جيش عبيد البخاري: قرّر المولى إسماعيل إعادة تنظيم جيشه عبر تشكيل قوة خاصة بمعزلٍ عن أبناء القبائل؛ ليضمن أن تدين له فقط بالولاء، لم يجد اسماً يُطلقه على جيشه الخاص خيراً من اسم "عبيد البخاري" أو "جيش البخاري" بعدما قرّر ملك المغرب تشكيل تلك القوة العسكرية وقف في جمعٍ من قوّاده وقال لهم: "أنا وأنتم عبيدٌ لسُنة رسول الله وشرعه المجموع في هذا الكتاب، فكل أمرٍ نفعله وكل ما نهى عنه نكرهه، وعليه نُقاتل"، فعاهده الحضور على ذلك، ينظر: أحمد متاريك: ‘‘عبيد البخاري’’.. جيش العلويين الأسود الذي أسّس مملكة المغرب"، عربي بوست تاريخ النشر 2022/09/07، شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:

https://shorturl.at/emR27

المغرب حيث حسب قول مريا كان صالحا لنصارى وغير مرغوب في أبناء بلده، في حكم ولد عربية اجترت المغرب فترة غلاء، ومجاعة يرثى لها بين سنتين 1737م و1738م، كان ذلك لصالح النصارى الذين تم تحريرهم بسب المجاعة حيث سمح للإسبانيين والفرنسين الذاهب، ولم يتبقى سوى الهولنديين والبرتغاليين، أجبر زوج مريا على العمل مصحوب بالضرب والتعنيف، قررت مريا مقابلة الملك من أجل زوجها استطاعت مريا مقابلة الملك هي وزوجها وابنها، حيث وصلت إلى القصر وتم ترحيب بيها بالطف من طرف الملك وزوجاته، فسألها عن مبتغاها، فأخبرته عن كل ما حدث لزوجها وتوسلت إليه أن يعفي زوجها من الخدمة في القصر لأنه أجبر على ذلك.

فغضب الملك وقال لمريا لماذا لم تخبره، طلبت مريا من الملك أن يعطيها منزل المراءة الإسبانية لتسكن بيه فهي متزوجة لا يجب أن تبقى بالقنوط، استحسن الملك استعطاف مريا ووعدها أن يهبها بيت بالمدينة وأن لا يعنف زوجها، أكرم الملك مريا وأرسل معها امرأتين من أجل مراقبته من يعنف زوجها، ووهب اليها حاكم المدينة بيت، ومنحها ترجمانة من أجل تعليمها اللغة العربية، لكي ترافقها عند مقابلة الملك، صارت تذهب مريا يوميا إلى القصر من أجل تثقيفها للملك مع ترجمانتها حيث كانت مريا تحدثه عن أنواع النباتات النادرة، وعن كل ما يأتي من البلدان أجنبية من منتوجات وعن مناضر المدن ومماليك، حيث أعجب الملك بخبرة مريا وطلب أن تأتيه يوما بعد يوم، طلبت مريا من الملك أن يعفى باقي النصارى من الخدمة وهذا ما حصل، غمر الملك مريا وزوجها وابنها بكثير من الملابس والشراشف، ذاع صيت حظوة مريا في البلاد والبوادي بشكل كبير لدرجة أن أصبح سكان البوادي إذا ما كانت لديهم شكاية يذهبون إلى مريا وهم محملون بالهدايا كي تعرض على ملك شكايتهم لكن مريا ترفض وتتذكر أنها مجرد أسيرة وتوجهم إلى الباشوات.

تحدثت مريا على نوع من ألعاب التسلية التي كان يقوم الملك بمشاهدتها رفقة زوجاته وهي قتال الخنازير والكلاب، في تلك أثناء كانت المجاعة مستمرة وغلاء، حيث الشتاء على أبواب ولم يكن هناك محصول ولا حتى زاد حيث أصبح ناس يفترسون بعضهم، وكانت الدروب والطرقات مغطاة بالجثث حيث مات الناس بأعداد كبيرة، عندما رأى الحالة مزرية لشعبه قلص عليهم الضرائب وبمأن سكان البدو كانوا في قتال وحرب ضد بعضهم البعض، لم يعد في استطاعته جلب محاصيل الزراعية فقرر تحرير الأسرى النصارى كلهم، شرط أن يأتي من يسأل عنهم، لكن كان من الصعب أن كتابة رسائل من

المدينة إلى قادة الدولة (هولندا) الإن من يحملونها كانوا ينهبون، أرسل الملك بيتر زوج مريا مع مبعوث الباشا إلى باشا طنجة .

ذهب زوج مريا إلى طنجة وبعدها إلى تطوان ثم سلا حيث قابلا القبطان الهولندي جوسيت سيل بغية التفاوض حول الأسرى، تقول مريا بعد مغادرة زوجها مدينة مكناس، قامت بتوسل إلى الملك من أجل إعطاء جرايتها فوافق على ذلك وكان بقيمة جراية زوجاته الشرعيات، أربع أنصاف كغ من حبوب القمح، كان في خدمة مريا يهودية ونصراني، فقامت بتسريحها وطلبت من الملك أن يوفر لها أربعة نصارى، لأنها كانت تسكن بالمدينة وكان من المجازفة أن تسكن هماك في تلك الفترة فترة الغلاء والمجاعة، ويجب أن تأمن بيتها من اللصوص.

سمح لها الملك باختيار الرجال ولعدد الذي ترغب بيه حيث تكفلت بإطعامهم وكسوتهم، واصلت مريا عملها في القصر وكانت تبيت في القصر لإن من الصعب الذهاب إلى المدينة ليلا بسبب قطاع الطرق، كان الملك يحب ابن مريا كثيرا، حين علم الملك بوجود قطاع طرق في القصر وحوله، وكانوا يسرقون طعام الملك، زودها بمسدس وكمية من البارود والرصاص، وسمح لها بقتل كل من يتحرش بيها ليسرقها، بعد فترة استدعى الملك مريا إلى القصر وفي الطريق تعرض إليها قطاع الطرق فاقموا برمي الرصاص عليهم وفرو قطاع الطرق، بعد وصول القبطان جوسيت سيل إلى سلا وكان يتوقع أن يدخل في مفوضات مع الملك، لكنهما لم يتوصل إلى اتفاق؛ لأن الملك كان يريد المال لنفسه من جهة، ومن جهة أخرى كان عبيد البخاري يريدون تلك الأموال، فلم تسر الأمور كما يجب، لإن الملك كان خاضعا لزنوج .ومع ذلك كان الملك يرغب في منح مريا وعائلتها حريتهم مع بعض أشياء الثمينة، وهذا سيتم إن لم يكن هناك جواسيس ينقلون ذلك إلى الزنوج، حيث قاموا بعزل الصديق الأكثر وفاء للملك حاكم سلا، حيث كان بالمدينة من أجل مقابلة الهولنديين للتباحث حول حريتهم، ولينالوها طلب منهم أن يعطوه مئتا دوكة، وأنا الكهنة من يتولون ذلك بعدما أقنع الملك بأرسالهم وإعطاء الزنوج بعض المال، الذين كانوا مرابطين في البادية مع جيشهم، يترأسون الحركة رفقة الملك، ذهبت ماريا إلى الملك من أجل أن يختم لها جواز سفرها حتى تتمكن من السفر، لكن الملك لم يكن رائق المزاج وطلب منها العودة في الصباح الغد، وفي اليوم الموالي تهيأت مريا من أجل ذهاب ومقابلة الملك، حيث تعرضت مترجمة مريا لنهب لكنها هربت، وألقي القبض على الملك ووضعت له الأصفاد، وتقول مريا وجدنا أنفسنا مرة أخرى بلا ملك، فذهبت مريا مستعجلة وغادرت القصر

بعد عودت ماريا وجدت نفسها عرضة لشتائم النصارى، الذين كانوا يريدون إخبار الزنوج أن لديها العديد من الأحجار الثمينة التي حصلت عليها من عند الملك، حيث نغص النصارى حياتها مقابل ما أمضته من أيام جميلة عند الملك ولد عربية، أخذت ماريا هدية وحملت ابنها وذهبت إلى الباشا وطلبت منه الحماية، إلى غاية أن يأتي ملك جديد، بقيت ماريا عند الباشا يومين، ثم رجعت إلى بيتها بعد أن وفرا الباشا الحماية، علموا اليهود أن الأسرى الهولنديين وعدوا 100 دوكة كي يتم افتدائهم، فتوجهوا إلى صغار السن فطيبوا خواطرهم بحلو الكلام، ووعدوهم بالحرية مقابل إعطائهم المال كي يتم تقديمها لقائد الزنوج، لنيل حريتهم قبل تنصيب ملك جديد، تقول مريا هنا للأسف الشديد كان ذلك بعيد المنال، كان في انتظارنا استعباد جديد، غادرت مريا مكناس في يوم 2من شهر يوليوز 1738م مع بعض الأسرى الهولنديين إلى المعمورة حيث كان يوجد بيتر زوجها، بعد وصولهم عمل الأسرى الهولنديين على إقلاق راحتها هي وزوجها شيئا فشيئا، وألبوا اليهودي الذي قادهم إلى هناك ضد مريا، فاستدعها وأساء معاملتها وطلب منها أن تدفع المال، بقدر ما كانت مريا تقول أنها لا تملك المال، بقدر ما يلقي عليها كلمات جارحة والشتائم، مدعي أن مريا كانت تتلقى يوميا من الملك دوكتين، حيث اعتبرت مريا ذلك كذبة .

كان السيد سيل وصل إلى المعمورة من أجل تفاوض مع اليهودي، على تحريرهم لكن لم يتوصلوا إلى حل، حيث كان اليهودي يذهب من حين إلى أخرى إلى الرباط من أجل إعداد تقرير لكبير الباشوات حول تلك المساومات، كانت تسكن عند الباشا يهودية أسلمت، ألبها اليهودي ضد مريا، وتوسلت إلى زوجات الباشا كي يعرفونها بالمراءة النصرانية وهي مريا، فوافق الباشا على ذلك وذهبوا إلى المعمورة وذلك من تدبير اليهودي لأنه قام بتفتيش بيت مريا وحينما لم يجدوا المال سعوا إليه بالقوة. تقول مريا "لو كنت أتوفر المال حقا، لدفعته لهم عن طيب خاطر، كي أتخلص من كل ما سببوه لي من محن، لكن المشكلة تكمن في أنهم لا يقتنعون، في الصباح الباكر سيقت مريا وزوجها وطفلها إلى الباشا، مع بعض الأسرى الهولنديين الذين نعتوها بعاهرة الملك وقالوا:

"**ستحرق الآن إن لم ترد إعطاء المال والحلي، ستحرق، ستحرق، ستحرق**" وبصق أحدهم ورائها، بعد الزوال وصلت مريا وزوجها إلى الباشا فستقبلها هو وزوجاته بود ودعون الله من اجل الحصول على حريتها، وقدموا إليها الطعام والشراب، لكن لم تسلم مريا من اليهودية واليهودي ومضايقتهم لها لكن كان الباشا في صفيها ويحميها هي وعائلتها.

ومن أهم الأحداث التي تطرقت إليها الأسير في الفصل السادس هي حكم ولاية مولاي المستضئ

تقول مريا بعد أربعة أيام، تم أخذهم إلى المعمورة مرة ثانية، لم يكن يعتقدون الأسرى الهولنديين، أن مريا وزوجها سوف لا يعدمون، فاعترتهم الدهشة حين رأوا مريا وبيتر، لم يمضوا وقت طويلا حيث في رابع من غشت 1738م، أصيح مولاي المستضئ ملك ودخل القصر الملكي، وقام بإرسال البغال من أجل عودتهم إلى مكناس، بعد عودتهم وجدوا البرتغاليين الثلاثة أخذوا كل شيء، ولم يرجعوا سوى طاولة وبعض المقاعد، منح الملك لنصارى محلات بالقصر من أجل حراسة المخزن، لكن زوج مريا كان معفي من العمل ولم يكن يتوفر لهم أي دخل، حيث قامت مريا بإعادة تشغيل الحانة من جديد، مرض زوج مريا وفقد بصره مدة شهرين كاملين، وأغلقت الحانة تلك مدة، لم يترك النصارى مريا بل استمرت مضايقاتهم لها وعملوا على أن ينتزعوا الحانة من مريا، لكن مريا ذهبت إلى الملك وطلبت منه بيت في المدينة لتفتح حانتها هناك، سمح الملك أن تفتح مريا حانتها في سجن الأعمال الشاقة .

وإذا ما سعى أحدهم إلى اعتراض طريق ماريا فسوف تقوم بتقديم شكاية للملك، عادت مريا إلى بيتها وستمرت في تشغيل حانتها، لكن النصارى لم يتوقفوا عن مضايقة مريا، تحدثت مريا عن كرم أم الملك وأخته حيث كانت تذهب لمقابلتهم كل يوم حيث كانت تعطيها القمح والحم كانت مريا لديها حظوة لدى الأسرة الملكية لمن لم تكن تتوقع مريا بأن الملك سوف يخلع حيث دام حكمه سنة فقط، ثم تم تعين مولاي عبدالله تحت ضغط الزنوج للحكم للمرة الثالثة وكان يلقب بالملك الديب حيث كان داهية في المكر وكان لا يطيق النصارى، لكنه لم يدم حكمه مدة طويلة حيث بعد أربعة أشهر تم خلعه وتنصيب ملك جديد يدعى زين العابدين ابن مولاي إسماعيل، ثم عودة مولاي عبدالله للحكم للمرة الرابعة حيث اتخذا فاس مقر ولايته، حيث أمرى النصارى بالالتحاق بيه وترك مكناس حيث بيها تجارتهم ومنازلهم مما سبب حزن كبيرا لهم، أمرا الملك مريا بالبقاء بمكناس، بعد مدة من الزمن تم خلع الملك وعودة مولاي المستضيء ملك من جديد، ذهبت مريا إلى القصر كي تقدم التهاني لأم الملك وأخته بمناسبة اعتلاء ابنها على العرش، فرحبت بيها حيث تقول مريا بأن الملك كان يرغب بتحريرها هي وعائلتها وأراد أن يرسلها إلى مراكش إلى أخيه كي تقابل السفير، لكن مريا رفضت ذلك لأن كان السفر سيستغرق شهرا كامل وكانت الشمس حارقة فلا تستطيع أخذا أطفالها .

طلبت من الملك أن يؤجل ذلك، ووافق على طلب مريا، تقول مريا أن أم الملك وأخته كانوا يداروها حيث ألحتا عليها كثيرا لتدخل الإسلام، وقالتا لها لذنب كبير أن تظلي غير مؤمنة، حيث كانت

ترد عليهم مريا بأن السماء لم ترد ذلك بعد، حيث تقول إن أم الملك طلبت منها تبني ابنتها التي كانت تبلغ عام فقط كي تكون عروس لحفيدها، فكانت تنادي ابنت مريا بعروس سيدي محمد، مريا لم تكن تخبر زوجها بكل ذلك لأنه كان يحقد على المغاربة كثيرا.

في يونيو 1742م انتشرا الطاعون في المغرب، حيث كان يحصد يوميا 100 قتيل وأكثر، حيث ذهب الملك رفقة جيشه إلى البادية ومنع أي من أفراد جيشه أو النصارى من الذهاب إلى المدينة كانت مريا تتمتع برخصة هي وخادمتها اليهودية من الدخول إلى القصر وكانت في طريق يسألها الناس عم إذا كان الطعون منتشرا بين النصارى، ويسألوها كيف يتم تجنبه فتقول أن ذلك بمشيئة الله فسبحوا له، لم تيأس مريا من ذلك الوضع حيث كانت تأمن أنها سوف تأخذ حريتها والعودة إلى وطنها، وهذا ما حدث في الفصل السابع حيث جاء بعنوان الافتداء والعودة الشاقة إلى الساحل، بعد خمسة عشر يوم وصل رقاص من طنجة يحمل رسالة من تاجر يدعى دون لويس بالتر، حيث حملت هذه الرسالة أسعد خبر لمريا ومن معها، وهو أن القبطان لومبري قبطان من كبار سادة هولندا، اشترى من الباشا الأسرى الهولنديين الذين كانوا موجدين بطنجة، كما اتفق معه أن يرسل له في ظرف ستة أسابيع، الأسرى الموجدين لدى الملك في مكناس، كانت مريا وحدها في حانة حين أعطاها الرقاص الرسالة، وشرعت في الصراخ وتقول "الحرية" "الحرية" اجتمع حولها أبناء وطنها وظنوا أنها فقدت عقلها، حيث كانت الرسالة باللغة الإسبانية ولا يستطيع أحدا غيرها قراءتها، لم يصدقوا ما جاء في الرسالة، بعد خمسة أسابيع وبضبط في 9 نوفمبر تم استدعاء مريا وعائلتها لمقابلة الملك، الذي وافق على تحريرهم هم الأربعة، وسلمهم لمبعوث باشا طنجة حيث منح حرية لمريا وعائلتها عن طواعية أما باقي الأسرى دخل في تفاوض مع مبعوث الباشا قابلت مريا وزوجها وابنتها الملك، حيث لم يستطع زوج مريا التحدث أمامه لكن مريا شكرت الملك على الطريقة المغربية حيث كانت بارعة في المجاملة وجسن التصرف فأعجب بيها الملك وقال لها

" صحيح ما رأيت، هذه النصرانية جديرة بأن تكون أميرة".

بهذه الجملة وهذا اللقب ودعت مريا الملك، وفي اليوم الموالي ودعت أمه وأخته بدا ذلك كوداع بين أبوين وواحد من أبنائهما، حيث بكتا معها، وأعطتها دوكتين[1] من أجل السفر، كانتا تريدان

[1] الدوكة هي عملة كانت رائجة خلال تلك الفترة

احتفاظ بماريا لكن كان ذلك مستحيل، في سادس عشر من سبتمبر 1742م سافرت ماريا ومن معها، إلى تطوان أجبروا على لعبور من مناطق غير .أمنة لتجنب الوقوع في قبضة مولاي عبدالله، وفي 30 ديسمبر وصلت مريا إلى الباشا حيث استقبلهم الباشا بطلقات البنادق وزودهم بخيمة فخمة، ثم واصلوا السير محوا تطوان، تقول مريا كانت الطريق صعبة وواجهتهم العديد من المخاطر، مكثت ماريا في بيت القنصل إنجلترا ثلاثة أشهر وخمسة أيام، بسبب عدم وجود باخرة، لأن الطعون كان منتشرا بالبلاد في يوم الخامس من أفريل 1743 م وصلت سفينة إلى المرفأ، فتوجه نحوها القنصل دون لويس باتلر فوجدوا السفينة إنجليزية، جاءت من أجل معرفة وضع البلاد وعقد اتفاق، لأن الحرب كانت مندلعة بين إنجليز وإسبانيا، وجبل طارق كانت تأخذ تموينها من طنجة وتطوان، حيث قالوا أصحاب سفينة إنجليزية أنهم لمحوا سفينة هولندية قد غادرت المرفأ، من أجل أخذ الأسرى، أبحرت السفينة الإنجليزية وفي طريقها التقت مع السفينة الهولندية، وأخبروهم أن الأسرى الهولنديين ينتظروهم من أكثر من ثلاثة أشهر، لكن الموت مازال مستأسدا، لكن قال القبطان الهولندي "**ينبغي الحصول على الأسرى**" وواصل الإبحار، في اليوم الموالي وصل المنقذ إلى المرفأ حيث صعد إليه القنصل والدون لويس، لكنهم لم يتم اتفاق بينهم، حول الحصص باقي الأسرى من أجل دفع ثمن الرحلة، وعلى هدايا الملك، وتكاليف إقامتهم لدى الباشا، لكن في أخير تم تسوية الوضع في 11 أبريل 1743م وهو ما جعلهم يذهبون نحوى السفينة ممتلئين فرحا لأنه قد انتهت العبودية .

رحلة العودة هذا هو عنوان الفصل الثامن والأخير من رحلة الأسيرة هولندية في بلاد المغرب، تقول مريا في تلك المفاوضات، عشت خوفا كبيرا، حيث فقدت شهيتها على الطعام، خشية أن تعود مجدد أسيرة، لكن في يوم 11 أبريل ركبوا السفينة حيث تقول مريا، منذ أن رأت معبر السفينة، هرعت إليها ونسيت طفليها كانت فرحتها كبيرة، تم الإبحار في تلك الليلة، حيث أبحروا في المياه الإسبانية ثم البحر الأبيض المتوسط ثم، ثم طنجة من أجل أخذا الأسرى، رست السفينة في المرفأ أطلقت قذيفة لكن لم تجد الرد مما أقلقهم حيث اعتقدوا أن الملك قد خلع ولن يتم أخذ باقي الأسرى تقول مريا أن إسبانيين سبة ضنوا أنهم إنجليز وأرادوا استلاء على السفينة لكن تم مواجهتهم وتغلب عليهم، حيث في ما بعد عرفوا أن السفينة إسبانية ليسوا المسلمين وأن الملك لم يخلع وسوف يرسل الأسرى، بعد وصول الأسرى الأربعة، اتهم أحدهم مريا بسرقة كوب الملك، حيث قدمته له والدته التي أحضرته من مكة مكتوب عليه محمد اسم النبي، وإن صدقه الملك فسوف يحرقهم وهم أحياء، لكن مريا أنكرت ذلك في البداية

وقالت أذهبوا وفتشوا البيت وأرادت الذهاب إلى الملك لتبرئة نفسها ثم بعدها أخرجت الكوب وقالت أذهبوا وأخبروا الملك كي يحرقنا جميعا، قام القبطان بإسكاتهم وهددهم أن لم يلزموا الهدوء سوف يقيدهم بالحديد ظلوا هادئين إلى أن وصلوا لشبونة حيث كانت مريا حاملا ولم يجدوا أي سفينة تأخذهم إلى هولندا حيث، مكثوا في المستشفى مدة ستة أيام إلى أن جاءت سفينة هولندية لكن ما أن ركبوا السفينة ما أن هؤلئك قاموا بضرب صاحب النزل، وتم سجن الجميع عانت مريا في السجن كثيرا إل أن أخرجهم القنصل هوكستراتن .

تم إبحار بعدها إلى طيكسيل ومن ثم بعد أمستردام حيث بعد عشرين عام حطت مريا أقدامها في بلدها الأم، فورا وصولها شرعت مريا في البحث عن أقربها وعائلتها لكن وجدتهم كلهم قد ماتوا ماعدا أخ غير شقيق لها، مكثت مريا عنده مدة 15 يوم ثم ذهبت هي وزوجها إلى مدينة ميدنبليك مسقط رأسه، حيث استقررت هناك هي وعائلتها، تقول مريا في نهاية مذكراتها:

"لا أتحسر على أني كنت في ذلك المكان البعيد من العالم، ولا على 12 سنة من الاستعباد، ولا على الأذى الذي سببه لي المغاربة، ذلك كله يمكنني نسيانه، لكن ما لن أنساه، الإهانات والشتائم التي كنا عرضة لها، أنا وزوجي، من قبل إخوتنا أبناء الوطن، من الصعب على أن أحكي هنا، كل ما ألحقوه بنا من سوء" وشكره الله على نجاتها من الأسرى وتركت رسالة للقارء، كي يعتبر من قصتها.

ثالثا: أسباب تأليف الكتاب وتقيمه

- ✓ **دواعي تأليف الكتاب:**

لهذا الكتاب عدة دوافع وأهداف حيث ذكرتها الأسيرة (مريا تيرمتلن) في نهاية كتابها الموسوم "باثنتا عشر سنة من الاستعباد " حيث أن الهدف الحقيقي من وراء تأليف هذا الكتاب هو أن تترك بصمة تاريخية لها كي يتذكرها كل قارئ، وأن يتمكن أبناؤها من الحديث عن مغامرتها في بلاد المسلمين لتبقى عبرة لهم ويندرج عملها ضمن مذكرات الشخصية للأسيرة هولندية مسيحية قضت اثنا عشر سنة من الأسرى في بلاد المسلمين "الكفار كما يعتقدون"

✓ **نقد وتقييم الكتاب:**

تطرقت الأسيرة لكتابة مذكراتها الموسومة "**باثنتا عشر سنة من الاستعباد** " لفترة زمنية جد هامة من تاريخ المغرب الأقصى الحديث، فبعد دراستي للكتاب اتضح لي أن العنوان لا يتطابق مع المتن والمضمون في أغلب الأحيان، فمن الوهلة الأولى يتبادر لذهن القارئ أن الأسيرة تعاني مرارة وعذاب العبودية وألم وقسوة المغاربة إلا أن مضمون الكتاب والأحداث التي روتها تبين بوضوح أن مريا كانت تعيش في حرية تامة ولها مكانة عند ملوك المغرب وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية وفتحت لنفسها حانة لبيع الخمور والتي سمتها **"ماء الحياة"** بل أكثر من ذلك زودها الملك بسلاح ناري لتدافع عن نفسها، وهذا مالم يتحقق للأسرى المسلمين في البلاد المسحية الذين تعرضوا لأنواع العذاب وإجبارهم على ترك دينهم الإسلامي .

يبقى كتاب مريا مصدرا تاريخيا هاما للباحثين والدارسين لفترة الفوضى التي شهدها المغرب بعد وفاة مولاي إسماعيل 1727م.

الفصل الثالث:

الأحداث التاريخية بعيون الأسيرة مريا تيرمتلن في بلاد المغرب الأقصى

الفصل الثالث:

الأحداث التاريخية بعيون الأسيرة مريا تيرمتلن في بلاد المغرب الأقصى

المبحث الأول: واقع الأسرى في ضل أزمة العرش من خلال كتاب مريا تيرمتلن

أولا: الحرية الدينية للأسرى في المغرب الأقصى

ثانيا: الأسرى والأوضاع السياسية

ثالثا: الأسرى والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الثاني: بعض العادات السيئة المنتشرة في المغرب الأقصى من خلال ما كتبه الأسرى

أولا: الأسرى والأوبئة والمجاعات في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن

ثانيا: الأسرى وانعدام الأمن في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن

ثالثا: الأسرى والأفات الاجتماعية في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن

المبحث الثالث: القضاء والنساء داخل القصر العلوي

أولا: الأسرى والعقوبة والعقاب في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن

ثانيا: الأسرى وحياة النساء في القصر السلاطين العلوين من خلال كتاب مريا تيرمتلن

المبحث الأول: واقع الأسرى في ضل أزمة العرش من خلال كتاب مريا تيرمتلن

أولا: الحرية الدينية للأسرى في المغرب الأقصى

ما يلفت انتباه القارئ لمذكرات الأسيرة مريا تيرمتلن في كتابها المسوم "**باثنتا عشر سنة من الاستعباد**" والذي يعطي نظرة تاريخية، جد هامة للأوضاع الدينية للأسرى المسحين في المغرب الأقصى، بعد وفاة المولى إسماعيل، حيث أنهم يتمتعون بهامش كبير من الحرية المعتقد حيث يسمح لهم بأداء طقوسهم الدينية في كنائسهم، كانوا يدعون إلى اعتناق الدين الإسلامي، لكن دون إكراه أو إجبار، مصداقا لقوله تعالى ﴿**لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ**﴾ [1] فالدين الإسلام دين يسر لا عسر، قد أقام دعوته على أساس حرية اختيار المعتقد، لكل إنسان ذي عقل سليم له حق في اختيار، الدين المناسب له تحت مشروعية لا إكراه في الدين، وهو مسؤول عما يختار لنفسه، حيث قال الله تعالى:

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾[2]، لكن هناك بعض المبالغة من الأسيرة حيث ذكرت في مذكراتها أنها تعرضت لتهديد، وتم ترهيبها وأكراها على تغير دينها، حيث قالت إن الملك طلب من جاريته أن تدخلها الإسلام، وسوف يتزوجها لكنها رفضت ذلك، فقامت الجارية بضرب مريا وشتمها حسب قول مريا:

"**سيقوم بإحراقي، وينتزع لحمي من جسدي بملاقط ويعمل على جعلي أموت تحت أشكال التعذيب كلها**"، لكن بعد قراءتي لما كتب عن الأسرى من أقلام المنصفين لم أجد أي نوع من الاضطهاد وتدخل في المعتقد بحيث أن النصارى كان يسمح لهم بممارسة كل طقوسهم الدينية والعمل في أماكن الحساسة من الدولة، فحسب قول مريا أن مسؤولين على مخازن السلاح، والخزينة هم من النصارى، وأيضا كان لرجال الدين والكهنة مكان عند الملك حيث كانوا يعملون على حل مشاكل الأسرى وحمايتهم في المغرب الأقصى، ويتم افتداء الأسرى عبر منضمات ورجال الدين[3].

---

[1] **سورة البقرة**: الآية: 256.

[2] **سورة يونس**: الآية: 118.

[3] جلول بن قومار: مرجع سابق، ص111.

كان للأسرى النصارى دير للعبادة، حسب ما جاء في مذكرات مريا حيث ذكرت أنها كانت تذهب الى دير قريب من المدينة، حيث سمح الملك لهم بممارستهم الدينية وعدم التضيق[1] عكس الأسرى المسلمين في بلاد المسحية فقد قللوا من شأن المسلمين الذين تم أسرهم ثم تحولوا من أسرى إلى عبيد، حيث أن حقد وعداوة الأوربيين للمسلمين، قد نالت مباركة الكنيسة البابوية، فقد تعمدت "الفاتيكان"[2] تضخيم قضية الأسرى الأوربيين في بلاد المغرب، وذلك بتشويه وضعهم وعلى أنهم في العبودية، حيث أن أغلب مراسلات الكنيسة تبين أن الأسرى المسيحين مساكين وهم في أمس الحاجة إلى المساعدة. وصف ابن جبير حالة الأسرى المسلمين قديم ومازالوا بقوله:

"ومن الجائع التي يعانيها من حل ببلادهم أسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في خدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في أسواقهم خلاخيل الحديد فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا" هذه حالة الأسرى المغاربة ومعاملتهم في بلاد الكفار[3].

لكن رغم كل التعنيف والاضطهاد بقيت بعض المسلمات، اللواتي أجبرن على اعتناق المسيحية على دينهن الإسلام، حيث يمارسن شعائرهم الدينة خفية، والأسيرة لوكريسيا وهي من الشمال إفريقيا واحدة من النساء التي اعترفت على مسمع سيدها وسيدتها، بأنها مسيحية بالسان فقط، أما قلبها معلق بددين أجدادها العرب، والمثال الثاني هو الأسيرة المسلمة تدعى مارقاريتا التي ارتد عن دينها الإسلام مقابلها عتقها ومنحها حريتها، لكن تم خادعها من قبل سيدها، وباعها في سوق النخاسة، بعد ذلك أنبها ضميرها، فتراجعت عن المسيحة ورفضت الذهاب إلى الصلوات في الكنيسة، مأدي إلى محاكمتها من قبل الكنيسة حيث قررت أنها مرتدة (مهتدية)، فاوضعوا حمل من الحطب على ضهرها وأضرموا النار[4] .

---

[1] مريا تيرمتلن: مصدر سابق. ص47.

[2] –**الفاتيكان**: هي دولة صغيرة، تعد أصغر دول العالم مساحة، تقع في وسط العاصمة الإيطالية روما، تقدر مساحتها بنصف كيلو متر مربع فقط، وعدد سكانها لا يتجاوز الأف نسمة، وهي دولة ذات طابع ديني فهي مركز أتباع الديانة المسحية الكاثوليكية، نضام حكمها هو نضام بابوي. ينظر: موسوعة كله لك، الرابط الإلكتروني: شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا: https://shorturl.at/lyQ48

[3] إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص–ص 230–231.

[4] نفسه: ص192.

ثانيا: الأسرى والأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

دخل المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر ميلادي، مرحلة جديدة وهي مرحلة الفوضى والأزمات على العرش، وذلك بعد وفاة مولاي إسماعيل، حيث تحول جيش عبيد البخاري من عامل قوة إلى عامل تفكك ودمار الدولة العلوية، وصراع وقتال بين أبناء بسبب تنصيب وعزل الملوك من طرف العبيد البخاري، وهذا ما كانت شاهدة عليه الأسيرة الهولندية مريا تيرمتلن.

✓ **التمردات حول العرش:**

بعد وفاة مولاي إسماعيل كان من المحتمل أن تنهار الدولة العلوية، ذلك أنها عانت وتدهورت سياسيا مثلما عانت الدول التي سبقتها كالدولة المرينية والدولة السعدية، حيث تعاقب أبناء السلطان إسماعيل الكثر على الحكم- برغم من أنه لم يترك ولي العهد كما قيل-[1] حتى انفرد كل أمير بمدينة يحارب فيها أخاه على الحكم ويساهم في خراب الدولة، مع استبداد جيش عبيد البخاري الذي أصبح عنصرا رئيسيا في تنصيب وعزل السلاطين[2]، تدهور الوضع السياسي في المغرب الأقصى، حيث باتت السلطة رهينة عبيد البخاري [3]، كانت الأسيرة **"مريا تيرمتلن"** شاهدة عيان لمرحلة الفوضى، حيث أسرت في عهد مولاي عبدالله ابن إسماعيل، ووصفت مريا الأحداث السياسية التي عاشها المغرب وذكرت في مذكراتها ما نصه:

"**اندلعت تمردات في البلاد، لأن البعض كانوا يردون ملكا، والبعض الأخرى يريد ملكا أخر، وكن نحن النصارى نرغب بشدة في ملك أخر**" وهنا تقصد الأسيرة انقسام عبيد البخاري إلى قسمين، قسم مؤيد للملك وقسم الثاني يرغب في خلعه، حيث كان الزنوج يقومون بالسرقة والنهب[4]، لم يكن هناك

[1] ينظر أبو العباس الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تح، محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2007م، ج3، ص73.

[2] عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 2005م، ج3، ص25.

[3] دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، دط، تونس، 2013م، ص30.

[4] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص83.

ارتباط بين الملك والشعب، فقد تولى كل من هؤلاء الملوك بالقوة وتحت ضغط الزنوج، ثم يتم عزلهم بنفس الطريقة[1]،كما تطرقت إلى ذكر بعض التمردات القبائل وعدم دفعهم الضرائب حيث تقول:

"امتنع سكان البوادي عن أداء الضرائب، وهو ما أجبر الملك على الذهاب إلى البادية على رأس الحركات"[2].

كانت فترة حكم مولاي عبدالله الأولى، قاسية وعنيفة خاصة ضد أهل مدينة فاس الذين حرمهم من رواتبهم دون أهالي المدن الأخرى، وطلب منهم تسليم البساتين والقصبات فإنها للمخزن، فإن أبوا ورفضوا تسليمهم، سيتم تهديم تلك القرية، وهذا ما دفع أهل فاس عن تراجع عن بيعته، وأعلنوا العصيان والتمرد وأرادوا خلعه، ولما علم الملك بخبرهم حاصر المدينة، وأطلق يد الجيش بتخريبها وقطع الأشجار وأفسد المزارع [3]، بعد خمس سنوات من ولاية حكم مولاي عبدالله، تم خلعه يوم 16أوت 1734 م، حيث فر وتم تنصيب ملك جديد [4]، وهو مولاي أبو الحسن علي أبن إسماعيل الملقب بالأعرج، حيث أتفق على بيعته رؤساء الجند من عبيد البخاري، وتبعهم الفقهاء والأعيان وجميع من حضر من أهل الديوان، وكان بسجل ماسة، حيث وصلته البيعة [5]، وصفت الأسيرة الملك على الأعرج بالملك المستبد، الذي أعدم عدد كبير من النصارى، من أجل معرفته بهربهم ومقابلة الملك مولاي عبدالله، لم يدم في الحكم مدة طويلة تقول مريا "**لقد تولى الملك مدة 19 شهرا** " [6]،لكن ما جاء في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس الناصري أن علي الأعرج " **أمره أن لا يقبض منهم إلا الزكوات والأعشار الشرعية وما جرت به العادة من الهدايا الخفيفة وكان رحمه الله موصوفا بالحلم والعقل متوقفا في الدماء فستره الله في أخر أمره وأجمل خلاصه**"، شهدت فترة حكمه بعض التمردات مثل ثورة أهل فاس وغزو الملك الأعرج أهل جبل فزاز، بعد ذلك قام الجيش عبيد البخاري بخلعه وتنصيب، ولم علم المولى أبو الحسن فر من مكناسة إلى فاس [7]، تنصيب مولاي عبدالله ملك من جديد،

[1]عبد الكريم غلاب: مرجع سابق، ص20.

[2]مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص83.

[3]أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص94-95.

[4]مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص70.

[5] عبد الكريم بن موسى الريفي: **زهرة الأكم**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، 1992م، ص239.

[6]مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص73.

[7]أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص100.

تقول مريا انه: "**قبل حلول منتصف النهار، تم تنصيب أربعة ملوك. كانوا الواحد تلوا الاخر على العرش ويخلعون**" إلى أن تم اختيار مولاي عبدالله، تم اخراج والدته من السجن [1]، وهو قدم من تطوان بعد ذهابه إلى القصر خارج المدينة حيث أن سالم الدكالي الذي بزرهون كتب إلى أهل فاس بأن الدون قد اتفق على خلع الملك عبدالله وبيعة محمد بن عربية، فلم علم أهل الديوان بما فعله سالم أرسلوا محلة اليه [2]، قامت بتأديب سالم الدكالي حيث القى القيض عليه، وافت أبا عنان بقتله تم عزل وقتل بعض الأعيان، سأت أحوال بسبب النهب والسلب من طرف الوديا مائد [3].

حيث أغاروا على سرح فاس وسوقها ولم يتركوا شيء بيها، اجتمعوا أهل فاس وتحالفوا على خلع الملك عبدالله وتم تنصيب محمد ولد عربية ملك جديد، بعد الولاية الثانية للملك عبدالله، ولم علم عبدالله فر إلى جبال البربر وأقام هناك [4]، وبايعوا ولد عربية على الرغم من تحفظات العديد من العلماء الذين امتنعوا عن بيعته، فعزلوا عن الخطط وامتحنوا بسبب ذلك، وقد افتتح ابن عربية من العلماء الذين امتنعوا عن بيعته، وقد افتتح ابن عربية، المطامير من أجل تحسين وتخفيف الأوضاع التي تدهورت بسبب المجاعة، والاستجابة لمطالب المالية للعبد البخاري من جهة أخرى[5]، تقول مريا عن الملك ولد عربية "**تم تنصيب سيدي محمد ولد عربية ملكا، والذي كان صالحا بالنسبة إلى النصارى لكنه كان ما يزال طفلا في أعين أبناء البلد**" شهدت فترة حكمه الغلاء والمجاعة، يقول ضعيف الرباطي[6]

[1] رغم استقامة الأميرة وقيمتها العلمية والدينية والسياسية، فإنها تعرضت لمضايقات ففي عام 1734م، لما استولى أبو الحسن علي الأعرج على الحكم، قيض على أم العز وحفيدها الصغير محمد ابن عبدالله، وسجنهم وضيق عليهم السجن بتحريض سالم الدكالي. ينظر: حسن ريش: مرجع سابق، ص63.

[2] أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص103.

[3] عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، شركة ناس للطباعة، ط1، القاهرة-مصر، 2006م، ج4، ص302.

[4] أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص104.

[5] صفصاف الهواري وطبول كمال: **المغرب الأقصى من أزمة العرش إلى إعادة تثبيت الوحدة الوطنية 1139-1206هـ/1727م-1792م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة تيارت، 2018م، ص60.

[6] محمد ضعيف الرباطي هو مؤرخ مغربي عاصر السلطان العلوي محمد بن عبدالله والمولى سليمان، حيث عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كان عالم عارف بالفنون، أرخ لدولة العلوية في المغرب الأقصى، وألف كتابه الشهير تاريخ الضعيف

"**وقويت الفتن وارتفعت الأسعار للفتن، ولقلة الأمطار وقاس الناس الشدائد العظام من شدة الغلاء**"، فا بعدة هاته الأزمة قرر الملك بتحرير أسرى الأوربيين[1]، كانت أيام حكم ولد عربية أيام نحس على المسلمين، ثار العبيد على الملك ولد عربية فقبضوا عليه، ووضعوا في رجله قيدا، وأخرجوه من دار الملك إلى داراه في وادي ويسلن بجنان حمرية ووكلوا بيه جماعة من العبيد بعد قبض العبيد على ملك محمد ولد عربية أعلنوا البيعة أخية المولى المستضيء بن إسماعيل [2]، حيث أن الملك الجديد لم يستطع أن يقوم بحل أزمة المالية، والعمل على تثبيت الأمن والاستقرار حيث أن الإجراءات التي قام بيها أدت إلى تفاقم الوضع ووصلت الدولة العلوية أقصى درجات الفقر والحاجة، حتى إن الملك عرض شراج قبة القصر ودرابيزه للبيع، وفرض على اليهود شرائها بثمن باهض. بعد خلع الملك المستضيء تم تنصيب المولى زين العابدين (1741م) فلم يبقى في الحم مدة طويلة إلا بضعة شهور[3]، حيث أنه أنسحب وفر إلى مكانس فكان ذلك أخر العهد به إلى أن توفي رحمه الله[4]، تقول الأسيرة مريا عن مولاي زين العابدين:

"**هو قروي من البادية، كان قادرا على الحكم أحسن من ذلك الملك لكن لم يحتفظ به طويلا، لأنه هرب هو الأخر، وهو ما حصل بعد أربعة أشهر، لقد كان ماكرا بئيسا إبن أوى منتوف الشعر، إذ حاول نهب النصارى واليهود والمغاربة، لذلك لم نحزن عليه** "[5]بعد انسحاب زين العابدين من الساحة السياسية في الوقت الذي تغيرت غيه الموازين حيث بدأت مرحلة الاضطرابات والمؤامرات والمكائد وتول قيادة جيش عبد البخاري أحمد الريفي، حيث بعد تنصيب مولاي عبدلله، انقلب وثارا على الموالي عبدلله، وطلبوا المستضيء من مراكش وتم مبايعته عام 1741م .

وبذلك انقسمت السلطة في المغرب الأقصى، بين كل من السلطان عبد الله ومعه أهل فاس والوديا والبربر والحياينة وأهل المغرب وبين المستضيء الذي كان بجانبه الريفي وبني حسن وأهل مراكش ونواحيها، فتحرك المستضيء والريفي إلى فاس أين دارت الحرب بينه وبين عبد الله وأنصاره التي انتهت بغلبة هذا

[1]مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص90.

[2]أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص108.

[3]محمد القبلي: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط 2011، ص428.

[4]أبو العباس الناصري: مصدر سابق، ص113.

[5]مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص116.

الأخير غير أن الريفي أعاد الكرة فالتقى الطرفان، وانهزم المستضيء مرة أخرى، وتم مبايعة مولاي عبدالله بفاس ففر المستضيء إلى دكالة، وقد تعقبه السلطان واستمر على حربه سنين وبعدها سمح له باستقرار في مراكش، ثم تمت مبايعة أهل الحوز المولى عبد الله، فعين ابنه مولاي محمد على مراكش

ورجع إلى المغرب سنة 1743 م، وقد أقام في دار الدبيبغ [1]إلى غاية وفاته بها عام 1757م [2]،

ثالثا: الأسرى والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الأقصى

كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي في المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر الميلادي، غير مستقر في ضل الأزمة التي جاءت بعد وفاة مولاي إسماعيل، فكان تأثيرها سلبي فالتدهور السياسي وعدم استقراره، يؤدي إلى تراجع الوضع الاقتصادي وتردي الأوضاع الاجتماعية، بسبب السلب والنهب واستبداد جيش عبيد البخاري، حيث أصبح ولاؤهم وطاعتهم للسلطان الذي يدفع أكثر، وذلك راجع لضعف شخصية سلاطين بعد وفاة مولاي إسماعيل.

لم يكن يعلم المولى إسماعيل أن الجيش العظيم، الذي كونه من أجل حفظ النظام، وإقرار الأمن في البلاد، وصد العدو عنها وتحرير الثغور من يد الأعداء، الذي بلغ أقصى الدرجات من العز والرفاهية، أن يرجع معول هدم وتهديد بعد وفاته، فسوف يخربون ويكونون نقمة على البلاد، فأصبح بيدهم الأمر المطلق، وصار أساس تولية السلطان ليس على أساس الكفاءة والعمل الصالح، بل إرضاء لقادة الجيش، ما أدى إلى انتشار المجاعات والسلب والنهب والقتل والفتك، دون أن يجد الشعب من يرفع عنه الظلم والجور[3]

كان مولاي عبدالله ظالم حيث كان يحصل أموال بمصادرة الممتلكات وسلب والنهب، حيث حاصر مدينة فاس وقام بتخريبها، وأرسل مولاي عبدالله قائده عبد الرزاق بن علي ويشي الزموري لفاس من أجل قبض المال من التجار، حيث جعلهم في السجن وكلفهم بدفع المال فورا، فمنهم من دفع عشرة الألف مثقال، ومنهم من دفع ثلاثة لألف مثقال إلى خمسمائة مثقال، وعم ذلك على الجميع، وفتنوا

---

[1]**قصبة دار دبيبغ أو دار الدبيبغ بفاس**: تسمى أيضا قصبة "أيت سقاطو"، كانت في الأصل عبارة عن قصر ملكي أنشأه السلطان العلوي عبدالله بن إسماعيل جنوب فاس سنة 1742/1154م، وأوضحت تسميته تطلق من طرف أهل فاس على الأحياء الحديثة التي أنشئت بجواره، ينظر: لموسوعة الحرة، شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا

https://shorturl.at/gikrB

[2]بن عزة أمال وبلوة فوزية: مرجع سابق، ص14.

[3]شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير (ليبيا تونس المغرب)**: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة–مصر، 1977، ص221.

بذلك غاية الفتنة حتى دفعو على ما قيل قنطار وعشرين قنطار من المال، وبعد شهرين بضبط قتل السلطان عبدالله عبد الطيف الروسي، وبعث قائد محمد وعلي ويشي، حيث جعلهم يقبضون التجار على السروج، بعد الظلم وفراغ من قبض حق السروج، فرض الهدية التي كانت تقدم له كل شهر إلى شهر، وهو يقبض أهل المدينة ويعذبهم على ذلك بالسجن والضرب وتعنيف، وأصبح الناس معه في عذاب الأليم، وكان يقبض النساء ويسجنهم ويضربهم، الضرب الفاحش ويعمل ذلك الأذل والفساق من أصحابه، دام ذلك الظلم سنتين إلى أن فر هو وأصحابه من فاس بنهاية ولاية حكمه، وذكر عنه من يوثق به أنه قتل في مدة حكمه سبعة الألف، وقتل كبراء الدولة من العبيد وغيرهم من أحرار القبائل. حيث يقول القادري:

"كثرت الفتن بين سائر القبائل وكثر القتل وسفك الدماء فماتت خلائق لا يحصون وكاد أن يهلك جميع من في الغرب من خاص وعام" [1]، حيث أهلك كل من خرج عن السلطان، وارتفعت الأسعار وعم على جميع المغرب الغلاء وعضم البلاء، وأكل القوي الضعيف، وصارت أموال الناس غنيمة وكثرت المنكرات [2]،تقول مريا أن:

"دخلنا فترة عصيبة من الغلاء، أصبح فيها المد من الحنطة يكلف 20دبيليت بينما كن نؤدي فيما سبق ديبلت واحدا ونصف للمد، لكن الناس لكن كان الناس حينذاك يتوفرون على المال، وكانت هناك تجارة رائجة فلم نعان كما في لفترة الأخيرة للغلاء، وهو ما سيأتي فيما بعد"[3] .

نجم عن هذه الأزمة ارتفاع في الأسعار وتردي الوضع الاجتماعي وتراجع موارد الخزينة وافلاسها، حيث كان السلاطين مضطرين لاستعمال كل الوسائل للحصول على المال الذي يضمن لهم دعم عبيد البخاري، خصوصا وأن أهم الموارد المالية التي كانت لمولاي إسماعيل من مداخيل التجارة الصحراوية والتجارة البحرية والقرصنة كانت في اضمحلال[4]، في ولاية الحسن بن إسماعيل الملقب بالأعرج كان

[1] محمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح محمد حجي، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، ط1، الرباط-المغرب، 1986م، ج3، ص321. 356.

[2] محمد الضعيف الرباطي: **تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة**، تح وتع وتق أحمد العماري، دار المؤثوارت، الرباط-المغرب، 1986م، ص124.

[3] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص74.

[4] محمد الضعيف الرباطي: مصدر سابق، ص147.

يبحث عن المال الذي يرضي به الجيش، قام بسجن خناثة بنت بكار وامتحنها واستخلص منها المال، وسلطان بن عربية قام باستخراج الحبوب والأموال من دور أهل مكناس عصبا، كما قام بالحجز على الحبوب أهل البادية التي يدخلونها لبيعها في المدينة، وقام بحصار على أهل فاس فمن دفع المال بقي في بيته زمن رفض يخرج من بيته، وقبض على أغنياء فاس وصادر أموالهم، أما عن السلطان المستضيء حيث قام بأخذ ما بقي من مخازن الإسماعيلية، أخذ الحديد والملح والكبريت والبرود والشب وباعها، واقتلع شراجيب القبة الشطرنجية وهي من نحاس، حول مدافع إلى عملة ولكن كل هذه الطرق والوسائل كانت تغذي الفوضى [1] .

المبحث الثاني: بعض العادات السيئة المنتشرة في المغرب الأقصى من خلال ما كتبه الأسرى

أولا: الأسرى والأوبئة والمجاعات في المغرب الأقصى:

عرفت بلاد المغرب الأقصى خلال النصف الأولى من القرن الثامن عشر ظهور أوبئة ومجاعة شديدة وتزامنت مع فترة الفوضى حيث تصف لنا الأسيرة في مذكراتها **اثنتا عشر سنة من الاستعباد** مشاهد الخوف، والفزع والتدهور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي عرفه المغرب في ضل الأزمة العرش.

انعكست الأوضاع السياسية على الحياة الاجتماعية، حيث أصبح الناس عرضة للأوبئة والمجاعات، وقد مات من الجوع عدد لا يحصى حيث قال صاحب المرستان [2]**أنه كفن في رجب وشعبان ثمانين ألف وكذا دون من يكفنه أهله** [3]، تقول **مريا تيرمتلن:**

"خلال حكم هذا الملك، اجترتنا فترة غلاء يرثى لها، امتدت من سنة 1737م إلى 1738م، قضى خلالها 48 ألف نفر بسبب اشتداد الجوع، وكان الأحياء يفترسون الأموات، بل أكلت الأمهات أبناء هن. ولم يتبق لا كلب ولا قط، الكل تم أكله كما كان الناس يخرجون عظام الحيوانات من الأرض ويسحقونها بين قطعتي حجر[4]، ويبتلعون دقيقها مع جرع من الماء، كما أكل الناس

---

[1] ثريا برادة، **الجيش المغربي وتطوره في القرن 19**: مطبعة النجاح الجديدة، دط، الدار البيضاء-المغرب، 1997، ص91-92.

[2] **المرستان:** يقصد به المستشفى.

[3] أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، **الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا على السجلماسي**، تق وتح وتع أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش-المغرب، د ت، ص177.

[4] **قطعتين حجر:** تقصد بيها الرحى التي تطحن فيها الحبوب قديما مصنوعة من حجر الصوان شديد الصلابة.

إسمنت الحيطان والتبن، كما البهائم بسبب انعدام العشب "[1] وهذه مبالغة من الأسيرة مريا تيرمتلن حيث ذكر، الضعيف الرباطي ما نصه:

" وقويت الفتن، وارتفعت الأسعار للفتن ولقلة الأمطار، وقاسى الناس الشدائد العظام من شدة الغلاء، وماتت بالضيقة رقاب كثيرة، وقل الإدام وانقطع اللحم وبلغ القمح نحو ثماني موازنات للصاع، ولم يزل الأمر في شدة وازدياد فتن، وفرت الناس كل الفرار"[2]، وذكرا في بعض المصادر المحلية المغربية أن الوباء ظهر بعد اضطرابات جوية، حيث أن هبت رياح هوجاء في سبتمبر 1742م، انهارت بسببها الدور وأشجار ثم إجتاح المدينة سيل عظيم في مدينة، فاس وفي هذا الوقت انشر الطاعون بفاس وزرهون ومكناسة وأحواز ذلك وعم جميع المغرب[3]، بعد هذه المجاعة ارتفعت تكاليف المعيشة، ولم يكن هناك أي واردات للملك ولا لرعاياه ولم تكن هناك محاصيل زراعية والشتاء على الأبواب، حيث الدواب والماشية افترست بعضها البعض في البوادي، وشرع الناس في أكل بعضهم البعض [4]، يقول الضعيف الرباطي: **"في تلك السنة، ماتت عامة الناس بالجوع، وعجز الناس عن دفن موتاهم، وكانوا يرمونهم في الأزقة والمزابل، وغير ذلك "**[5]

أطلقت الأسيرة في مذكراتها مصطلح **"موتى بلا قبور"** ذكرت مريا كيف كانت الطرقات والدروب التي تسلكها كل يوم المغطاة بالجثث، بعد هلاك عدد كبير من الناس، لدرجة لم يعد بالمستطاع دفنهم، حيث تكدست الجثث في المقابر حت وصلت إلى مستوي قامت الرجل، ظلت المنازل خالية ونهبت أبواب الحوانيت الخشبية وكان الموتى، كما أهلك اليهود أيض بالأعداد كبير، وصعب عليهم دفن موتاهم حسب تعاليمهم الدينية، فقاموا بتخبئة موتاهم تحت أنقاض المنازل القديمة المنهارة [6]،نقلت بعض الروايات المختلفة عن مصدر الوباء وطبيعته، وجاء في الرواية الأولى بأن المرض لم يكن في الحقيقة سوى

[1] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص89.

[2] الضعيف الرباطي: مصدر سابق، ص124.

[3] محمد الأمين البازز: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، د ط، الرباط-المغرب، 1992م، ص53.

[4] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص95.

[5] الضعيف الرباطي: مصدر سابق، ص220.

[6] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص95

حمى نجمت عن الإفراط في تناول الفاكهة، المحتجة بأن الوفيات المسجلة في المسلمين من دون اليهود أو النصارى [1]، تقول مريا:

"كل ما عبرت المدينة، كان المغاربة يسألوني ما إذا كان الطاعون منتشرا بيننا نحن النصارى؟ وكانوا يسألونني حينها ما العمل لتجنبه؟ فكنت أجيبهم ليس لدينا ما ننصحكم به، بل إن ذلك يتعلق بمشيئة الله، لذلك سبحوا له، لكن كان ما يزال منتشرا بينهم، من كان يقول بأننا كنا كفارا، وإن مولاي محمد [تقصد النبي محمد صلى الله عليه وسلم] لا يعرفنا، ولاهم، لذلك سلط عليم محمد هذه النكبة على الأرض" [2] .

وهنا الأسيرة وكأنها تقول إن الله حماهم هم النصارى لإنهم مظلومين ودينهم الحق، بينما المسلمين سلط عليم غضبه عليهم وأنتشر بينهم الطاعون، أما الرواية الثانية تقول إن هذا الطاعون مجرد إشاعة أطلقها يهود تطوان وهناك من يقول إن الوباء جاء مع القوافل التجارية حيث أن هذا الطعون يأتي بأعراض، كانوا يعانون من القشعريرة والدوران والغثيان، ثم يمتون أو الحمى المرتفعة وانهيار التام والعطش وتصلب الساقين والهذيان، وتظهر عليهم الدماميل في الابط أو العنق. وهذا بتأكيد طعون حقيقيا بنوعيه الدملي الرئوي، فعندما اجتاح الطاعون بكل قسوته البلاد، كان الوضع مناسب لتزايد من حدته لأن البلاد كانت في مجاعة التي أهلكت الناس، وكان الصراع على العرش مزال قائم [3]، لتصدي الوباء كان يلجأ السلاطين لبروتكول خاص من أجل عدم تنقل العدوة إليهم وهو ما يدعى بالحجر الصحي حيث ذكرت مريا ذلك:

"ذهب الملك إلى البادية رفقة جيشه إلى الخيمة التي نصبوها هناك، ومنع أيا كان من أفراد جيشه أو من النصارى الموجدين رفقته من الذهاب إلى المدينة"، وهنا تقصد السلطان مولاي المستضيء، كما أن مريا كانت سعيدة بما أصاب المسلمين والمغاربة، وكيف كانوا يتساقطون بالمئات كل يوم: "**ترون كل يوم تساقط مئات من إعدائنا، وبينما ماتزال بركة الله سارية لم يمسس أي أحد منا، كما سنحصل على حريتنا ببركة الله**"[4] فالكوارث الطبيعة والجفاف والقحط كان أيض مساهم في انتشار

[1] محمد الأمين البازز: مرجع سابق، ص54.

[2] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص123.

[3] محمد الأمين البازز: مرجع سابق، ص54.

[4] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص22،24.

المجاعات والطاعون وبتالي هي عوامل تتحكم في مدى استقرار البلاد من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية[1].

ثانيا: الأسرى وانعدام الأمن في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن:

بعد تفاقم الأزمة وسوء الوضع ونتشار المجاعة والطعون انشرت ظاهرة اللصوصية بشكل واسع في بلاد المغرب، فعم النهب والسلب في كامل أرجاء البلاد وامتدت أعمال قطاع الطرق في الطرقات والأسواق، في هذه الفترة رجع كل الناس لصوصا، والوداية يعشون في أسواق المدينة ويغرون على القاصرين بوادي فاس، كما أغاروا على سرح فاس كله، ولم يتركوا لا بقر ولا غنم ولا بهائم، ونهبوا كل من دخل السوق الخميس[2]، وكان عبيد البخاري يسلب وينهب كل ما يجده في طريقه تذكر مريا تيرمتلن أن حين عرفوا أنه تم عزل الملك، انتابهم الخوف من سرقة والنهب الزنوج فقاموا بطمر كل ما يملكه [3]، فالعبيد الذين انقطعت عنهم الزكوات، والأعشار التي كانت القبائل تؤديها لهم، صاروا عرضة لانتقامها، وخرجوا ناشرين الرعب وعدم الأمن في البلاد [4]،كان البدو يقومون بقطع الطريق على القمح والمؤونة القادمة للمدينة الملكية، بسبب الغلاء حيث عضم الغلاء في مدينة فاس دون المدن الأخرى، تقول الأسيرة:

"لم نكن نستطيع شراء أي شيء من السوق دون أن نحاط على الفور ببعض الجوعى البؤساء الذين كانوا يتربصون بنا، كما كان يفعل الأسد بضحيته، وإذا ما استطاعوا، كانوا يسرقوننا، ويهربون وهم يأكلون".

وهنا تقصد المتسولون وهذه أفة من أفات الاجتماعية التي خلفتها الأزمة السياسة والمجاعات في تلك الفترة، حيث كانت تصف الوضع المساكين، باستحقار ونعتتهم بالجوعى البؤس، تقول أيض كان من صع التجول في المدينة بسبب كثرة قطاع الطرق، مما وجب عليها البقاء في القصر، كما زودها الملك بسلاح حين علم أن قطاع الطرق يحمون حول القصر ويسرقون طعام الملك ولحمايتها أعطاها

[1] بن عمر حمدادو: **أدبيات الأوبئة والأمراض ببلاد المغارب من خلال كتب الرحالة والأجانب**، مجلة آفاق فكرية، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر. ت ن 2021/10/30، ص5.

[2] أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوس: مصدر سابق، ص177.

[3] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص84.

[4] ثريا برادة: مرجع سابق، ص91.

السلاح "**زودني بمسدس، وبكمية من البارود والرصاص، وأيضا بهراوة، كما آذن لي بقتل أي شخص يتحرش بي لسرقتي** " والسؤال المطروح كيف لأسيرة أن تكون بكل هذه الحرية حتى يتم تزويدها بسلاح، وهل كان لجميع الأسيرات والأسرى هذه الحظوة، ثم تطرقت لحادثة حصلت معها في طريق عودتها حيث اعترضها أثناء ذهابها إلى القصر في اليل قطاع طرق، كانوا مختبئين وراء أكمات، بعد مشاهدتهم تم رمي رصاص عليهم وفرو، تحفظوا من الاقتراب[1].

ثالثا: الأسرى والأفات الاجتماعية في المغرب الأقصى

من خلال كتاب مريا تيرمتلن:

انتشرت في بلاد المغرب خلال الفترة الحديثة ظاهرت الآفات الاجتماعية، كا شرب الخمر وتعاطي الحشيش، والتسول، واللصوصية وغيرها من الآفات الدخيلة على المجتمع المغربي التي جاء بيها الرحالة والأسرى الأوربيين، حيث جاء في كتاب **تاريخ الأوبئة والمجاعات في المغرب** لمحمد أمين البزاز، أن العامل الاقتصادي، يفرض النمط المعيشي وله أثر على السلوك الاجتماعي وتوجه السياسي فالمعدمون يستنفدون كل الوسائل وطرق التي لديهم، وبعد استفادتهم يفكرون في بسط أيديهم على ممتلكات الناس هكذا تنحط مشاعرهم الإنسانية ومبادئهم الأخلاقية تحت وخزات الجوع ويستحلون الحيوانات الضارية وافتراس الحيوانات الأليفة وأكل الخنزير والجيف وحتى الآدمي، إضافة إلى السرقة وقطع الطرق والفتك بالضحايا حيث أن الأزمة الاقتصادية والطبقية الاجتماعية أدت إلى ضهور شذوذ أخلاقي والبعد عن الدين كا المجاهرة بالمعاصي وتفشي البغاء الذي كان يزدهر، كما هو في يومنا هذا[2].

- ✓ **تعاطي الحشيش والخمر:** تفشى تعاطي الحشائش وأعشاب المخدرة للحواس كعشبة التنباك أو عشبة الطابا[3]، ووجود الخمارات حيث كان يسمح لأهل الذمة[4]، ببيع الخمر وتوافد المسلمين والنصارى وغيرهم إلى تلك المحلات من أجل شرب ماء الحياة كما يسمونه في تلك الفترة، كما سمح لمريا بفاتح حانة ربحت منها أموالا، حيث تقول مريا أن في شهر رمضان كان

[1] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص98-99.

[2] محمد أمين البزاز: مرجع سابق، ص358 – 360.

[3] فيصل مبرك: **الطائفة اليوسفية بدعة دينية والاجتماعية من خلال المصادر المغربية ق 16-17**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع9، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2015، ص145.

[4] **أهل الذمة:** هم رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين، والذين تعاقدوا مع المسلمين على دفع الجزية والالتزام بشروط معينة مقابل البقاء على دينهم والتعايش مع، المسلمين وتوفير الأمن والحماية لهم.

تتراجع أرباحها "**بالنسبة للمغاربة أو المسلمين ...في فترة الصيام تلك لا يتعاطى المشروبات الكحولية**" [1]، من الطبيعي أن تظهر هذه الآفات الاجتماعية والانحرافات والسلوكيات ألا أخلاقية، التي حرمها الإسلام في المجتمع وبالتالي هي نتيجة لأوضاع المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، حيث شكلت الأزمة داخل البيت العلوي منعرجا خطيرًا، داخل المجتمع، وسماح لأهل الذمة "النصارى واليهود" بتعاطي الخمر وصنعه وبيعه وفتح أماكن، للهو والمجون والخمرات أو ما يسمى الحانة من قبل سلاطين المغرب، ويذكر الرحالة والمغامر **أنطونيو دي سان مارتين** في كتابه **مدينة النعاس رحلة إلى داخل المغرب** كيف كان واقع المجتمع المغربي والآفات التي كانت منتشرة بيه حيث وصف لنا كل ما كان يتعاطه المغاربة، ووصف المغاربة أنهم بالشعوذة **"مغاربة تلك المدينة الحزينة[2] هم أكثر تطرفا وشعوذة مما يمكن أن يتخيله المرء"**.

وأطلق على عشبة الكيف[3] أو الحشيش اسم "**نبتة الجنة**" وتحدث أيضا على بيوت الدعارة، حيث وصف بالليلة الماجنة في المغرب حيث كان هناك نساء مغربيات يعزفن ويرقصن على نغمات مغربية، وتحدث عن شخص يدعى محمد حيث كان يشرف على الضيافة ويكثر من شرب الخمر مثله مثل النساء، يقول الرحالة أنطونيو:

"في تلك اللحظة تقدم عبد أسود، يتدلى من أذنيه ختمان ضخمان من فضة، ووضع أمام سيده ومستر بارا وأمامي ثلاث شيشات تركية جميلة ذوات أفواه من عنبر" هنا حسب رأي أن الشيشة التركية قدمت للمغرب الأقصى من إيالة الجزائر العثمانية بحكم الحدود، قال أنطونيو كان العبد يضع في شيشته أوراقا يابسة، ضيقة وطويلة، لونها ضارب إلى البياض، حيث قيل له أنها نبة سماوية تنفلهم إلى المجهول وقال: **"اه، أيها الكيف الإلهي أنت، لاشك في ذلك، أجمل نبات الجنة، وبذرتك حملها إلى الأرض ملاك لأجل متعة البشر"**[4]، ومن الآفات التي ذكرتها الأسيرة أيضا ظاهرة التسول نتيجة

---

[1] مريا تيرمتلن: مصدر سابق، ص59.

[2] **المدينة الحزينة:** هي منطقة القصر التي وقعت بيها معركة واد المخازن الشهيرة...، للمزيد ينظر أنطونيو دي سان مارتين: **مدينة النعاس رحلة إلى المغرب**، تر: مصطفى الورياغلي: المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء-المغرب ، 2018م، ص63.

[3] **الكيف:** نبتة يزرعها المغاربة، وتوجد منها حقول كبيرة في كل بلاد البربر، تملك تلك النبتة تقريبا خصائص الأفيون والحشيش الذي هو معروف منذ عهد الحروب الصليبية، والذي كانت تستعمله تلك الشخصيات المسماة {شيخ الجبل} لكي يجلب لنفسه أكبر الأعداد. أنطونيو دي سان مارتين: المصدر السابق، ص63.

[4] نفسه: ص62-63.

الفقر التي انتشرت في الأسواق فتقول أنها: **عند الذهاب لشراء أي شيء تجد نفسك محاط بيهم وإذا لم تعطيهم ما يطلبون يأخذونها من يدك بالقوة ويهربون، نعتتهم مريا بالجوعى البؤساء**[1].

المبحث الثالث: القضاء والنساء داخل القصر العلوي

أولا: الأسرى والعقوبة والعقاب في المغرب الأقصى

لم تفصل الأسيرة في أنواع العقوبات كثيرا، خصصت هاته العقوبات على الأسرى النصارى فقط وكأنها تبرز المعناة والظلم الذي كان يعيشه النصارى في المغرب خلال أسرهم، حيث سردت بعض القصص عن معاقبة السلطان المغربي لهؤلاء الأسرى المخالفين له، ووصفت مدى وحشية وقسوة السلاطين.

✓ **الملك يهشم رأس الباشا:**

ذكرت الأسيرة عقوبة الملك مولاي عبدالله للباشا حيث قالت كان جمع من الباشوات والقواد مصطفين أمام باب القصر، ينتظرون، الملك وكان من بينهم باشا النصارى[2]، خرج الملك وأمر بوضع الباشا المعاقب أمامه، وأمر رجاله بتهشيم رأسيه، فمات على فور، وتم استلاء على بيته وكل ما فيه من آثاث وعبيد، وقاموا بطرد النساء عاريات إلى الشارع.[3]

✓ **الملك يطلق النار على مخمور:**

أما العقوبة الأخرى كانت من نصيب أسير فرنسي من منطقة تدعى دونكيرك " dunkerque الواقعة شمال فرنسا، قدم للقصر رفقة مغربيين، من أجل تسليم مجموعة من الأسود والدببة، للملك لم يقترب كثيرا منه وسأل:

"**ماذا يريد هذا الكافر؟ اذهبوا واشتموا ما إذا كان مخمورا، لم يتجرأ المغربيين على قول شيء سوى لقد شرب الكحول، فاحت منه رائحة ماء الحياة**"، تقول مريا التي كانت هناك لم يسأل حتى

[1] مريا تيرمتلن: المصدر السابق، ص98.

[2] تقصد هنا مسؤول عن الأسرى النصارى في المغرب.

[3] مريا تيرمتلن: المصدر السابق، ص62.

لماذا جاء ذلك النصراني، وقام بإطلاق النار عليه، فأرداه قتيلا. تقول مريا بعد ذلك المنظر قمت بالهرب خوفا من أن يأتي دوري [1] .

تقول مريا خلال فترة حكم مولاي علي الأعرج ابن إسماعيل، قام بإعدام عدد كبير من النصارى ودفنهم، تحت أشجار الزيتون لأنهم قابلو السلطان مولاي عبدالله وابنه، كما قام بقتل 5 من النصارى أبرياء، وسدد نحو واحد منهم 120 رصاصة.

✓ **مقتل طبيب بسب دواء مسهل:**

في شهر نوفمبر 1735م مرض الملك قليلا، فأمر بإحضار طبيب وكان ذلك الطبيب من النصارى، بعد ما عينه قدم له العلاج المناسب، وطلب منه أن يلزم الفراش ويبقى في الدفء في ذلك اليوم، حتى لا يؤثر عليه الدواء، ويسبب له ضرارا وهو ما حصل لأن الملك لم يتبع ما قاله لهو الطبيب، زاد وضع الملك سوء وتفاقم عليه المرض، فستدعى الطبيب النصراني وبعض من أطباء المغاربة، حيث شرح الطبيب أن الملك هو من تسبب في تفاقم مرضه، انفعل الملك وغضبا وقال **"أتريد قتلي؟"** ودفع الطبيب إلى الوراء ثلاث خطوات، وأخذ بندقيته وأطلق عليه النار وأمرا رجاله كلهم أن يطلقوا النار عليه، حتى أصبح من الصعب التعرف عليه [2].

وتحدث الأسير جرمان مويط في مذكراته عن العقاب والعقوبة في المغرب الأقصى خلال عهد السلطان مولاي إسماعيل حيث قال إن يتم عقاب المجرمين كما يعاقب اللصوص العموميين والخصوصيين، حيث تقطع يدهم اليمنى في السرقة الأولى أما السرقة الثانية كانت تقطع اليد اليسرى أيضا، وفي حال تكرر الأمر يقطع الرأس، **"كما يرجم الزناة، يعدم القتلة، وتجلد المومسات والسكيرون، أو يسجنون ويؤدون غرامة، ويقتلون إذا ظهر عليهم في رمضان، وهو شهر للصيام"**، أما الخونة الذين يخنون الملك، فيعاقبون بقطع رأسهم وترم جثثهم في المزابل [3]، ومن خلال هذه الأحداث والعقوبات، التي ذكرتها مريا تيرمتلن في كتابها نستنتج، أن النظام القضائي في فترة الفوضى كان غير موجود وغائب نوع ما.

[1] مريا تيرمتلن: المصدر السابق، ص72.

[2] نفسه: ص80.

[3] جرمان مويط: المصدر السابق، ص127.

ثانيا: الأسرى وحياة النساء في القصر السلاطين العلوين من خلال كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد

الحريم السلطاني أو ما يسمى بالحرملك، وهو مكان خاص بنساء السلطان والجواري، حيث كرست السلطة المخزنية، حيث رسخ السلاطين العلوين هذا النظام "الحريمي" ومن أهم السلاطين الذين اشتهروا بكثرة النساء هو السلطان مولاي إسماعيل، حيث كان حرم السلطان يضم فتيات من كل أقاليم السلطنة إضافة إلى جواري من مختلف بقاع العالم[1].

فالرغم من وجود الكثير من النساء والجواري الموجودات في قصر السلطان، إلا أن الملك متزوج من أربع زوجات شرعيات حسب قول مريا تيرمتلن، فوصفت الحرم السلطاني وشكل النساء، حيث قالت:

"هكذا وجدتني، أمام الملك داخل غرفته، حيث كان مضطجعا، وكانت توجد لرفقته 50 امرأة غاية في الجمال، مطليات الوجوه ولابسات كما معبودات ذوات جمال استثنائي، وكانت كل واحدة منهن تمسك بآلتها الموسيقية، وكن تعزفن عليها، وتغنين لحنا غاية الروعة، لم يسبق لي أبدا أن سمعت مثله، كانت أربع زوجات شرعيات للملك جالسات قبالته".

هكذا وصفت مريا المشهد الذي رأته، تحدثت عن جمال النساء، ووصفت شكل زوجات الملك، حث كانوا يتلألأن بالمجوهرات التي معلقة في رقابهم، وتيجان التي كانت من ذهب، والخواتم الذهبية المضفورة على شعورهن، وقالت عن الملك بأنه:

"كان الملك واضعا رأسه على ركبتي واحدة من النساء، ورجليه على ركبتي أخرى، وكانت امرأة خلفه، وأخرى أمامه، كانتا تداعبانه"، وهنا وكأن الأسيرة تريد أن تبين بأن السلطان كان مهوس بالنساء، تكلمت أيضا عن امرأة كان عملها تزين فتيات أبكار للملك، فكانت كل يوم جمعة تقدم له فتات بكرا، ذكرت الأسيرة عادة داخل الحرم السلطان وهي أن السلطان كان لا يقرب من نسائه

[1] محمد شقير: **شقير يقتحم بيوت الحريم في التاريخ السياسي للمملكة**، مقال، موقع هسبريس، 20 مارس 2018، ينظر: الموقع الإلكتروني:

https://shorturl.at/dnqGZ

الحوامل، لأنه حسب قولها كان خطيئة أن يقيم علاقة مع النساء الحوامل، لكن حسب رأي أن هذا غير صحيح لأن في الشريعة الإسلامية لا يوجد هذا الشيء[1]

كان الحريم هو المجال الحميمي لسلطان، حيث هو الرجل الوحيد الذي يحق له أن يتجول بداخله، كان الحريم يخفي كل أفراد عائلة السلطان من النساء أصول والفروع وزوجاته وأيضا الجواري والخادمات، حيث كانت عليه حراسة مشدد ويمنع دخول رجال إليه وكان هناك غلمان أو الخصيان ويطلق أيضا عليهم مصطلح خلاسيون، يقومون بخدمة الحرم السلطاني[2].

[1]مريا تيرمتلن: المصدر السابق، ص46-47.

[2]محمد شقير، مرجع سابق.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة وبعد قراءة، وتحليل، وتدقيق، في كتاب **اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب" لمريا تيرمتلن Maria Ter Meetelen "**توصلت إلى النتائج التالية:

- حفظ كرامة الإنسان تكفلها كل الشرائع الدينية فقد جاء الدين الإسلامي يكرس ذلك في كيفية التعامل مع الأسير.

- جاء موضوع الجهاد البحري أو ما يطلق عليه الغرب المسيحي بالقرصنة، التي كانت رائجة في تلك الفترة، ووقوع عدد كبير من الأسرى في المغرب الأقصى، ما هو إلا رد فعل القرصنة الأوروبية.

-تعتبر عائدات القرصنة والجهاد البحري والأسرى، موردا هاما من موارد الخزينة.

-كان موضوع افتداء الأسرى محرك للعلاقات والبعثات الدبلوماسية بين المغرب الأقصى ودول أوربا

-دوّن بعض الأسرى مذكراتهم خلال فترة أسرهم فكتبوا عن الأحداث والتجارب والأوضاع في المغرب ومنهم كتاب **اثنتا عشر سنة من الاستعباد "رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب" لمريا تيرمتلن Maria Ter Meetelen**

- اهتمام الأسرى الأوربيين في كتابة التاريخ الاجتماعي للمغرب بدقة، عكس المصادر المحلية

- كانت الكتابة الغربية الأوربية، مباركة من طرف الكنيسة البابوية، حيث عملوا على تشويه المسلمين ومن أجل استعطاف، الرأي العام في موضوع افتداء الأسرى.

-بعد دراستي لكتاب مريا تيرمتلن، برزت شخصية، الأسيرة حيث احترفت أسلوب الكتابة كما من خلال سردها لحكاية استعبادها، كانت تظهر مدى قوتها، وتمسكها بعقيدتها وبذكائها أصبحت تملك مكانة عند أعدائها.

-كانت هناك بعض المبالغة في كتابة مريا، لبعض الأحداث والوقائع، كما كتبت بتعصبا وتحاملا على المسلمين.

-كان الأسرى الأوربيون، يتمتعون بالحرية الدينية، ولم يتم إجبارهم على تغير دينهم على عكس الأسرى المسلمين في الدول الأوربية.

-عاصرت الأسيرة بداية مرحلة الفوضى التي دامت ثلاثين عاما، بعد وفاة المولى إسماعيل

– تسلط جيش العبيد الذي كونه المولى إسماعيل وبعد وفاته، تدخل في شؤون الدولة السياسية فأصبح يبايع ويعزل من يشاء من الحكام.

– من أسباب تفاقم الأزمة العرش الصراع بين أبناء المولى إسماعيل حول الحكم وانفرد كل واحد منهم بفئة اجتماعية مما زاد في حدة الصراع.

– بعد وفاة السلطان إسماعيل رفض السكان تأدية الجباية، حيث توقفت نفقة الجيش والقلاع العسكرية، بهذا السبب خرج الزنوج من القلاع من أجل النهب والسرقة والقتل.

– العامل الطبيعي أيضا ساهم في زيادة الأزمة كالجفاف وانتشار الأمراض كالطاعون.

–تراجع الاقتصاد المغربي بسبب كثرة الحروب وفقدان المزارع، وجمود القرصنة وعوائد البحر بسبب الأزمة.

–انتشار الأفات الاجتماعية وانفلات الناس وأصبح جلهم لصوصا وقطاع طرق.

– ارتفاع حصيلة الموتى بسبب المجاعات والأوبئة التي عصفت بالمغرب في فترة الأسيرة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أ- المصادر باللغة العربية:

1-الرباطي محمد الضعيف: **تاريخ الضعيف تاريخ الدولة السعيدة**، تح وتع وتق أحمد العماري، دار المؤثوارت، الرباط-المغرب، 1986م.

2-الريفي عبد الكريم بن موسى: **زهرة الأكم**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب, 1992م.

3-القادري محمد بن الطيب: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح محمد حجي، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، ط1، الرباط-المغرب، 1986م، ج3.

4-الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد: **الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا على السجلماسي**، تق وتح وتع أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش-المغرب، د ت.

5-الماوردي أبو الحسن علي: **الأحكام السلطانية والولايات الدنية**، تح أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، الكويت، 1989.

6-الناصري أبو العباس: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان , 2007م، ج3.

7-الوزان حسن: **وصف إفريقيا**، مجلة التاريخية الجزائرية، ع04، جامعة الجزائر، 2017م.

ب- المصادر المعربة:

1-أندريان فولي جاك: كنت عبدا في المغرب 1783-1784

2-تيرمتلن مريا: **اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب**، تر وتق بوشعيب الساوري، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة 2018.

3-دي سان مارتين أنطونيو: **مدينة النعاس رحلة إلى المغرب**، تر: مصطفى الورياغلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء-المغرب , 2018م.

4-كربخال مارمول: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وحمد زنبير ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنحلون، مكتبة المعارف، د، ع، ط، الرباط، 1984م، ج1.

5-مويط جرمان: **رحلة الأسير مويط**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، المملكة المغربية.

ج-مصادر بالغة الأجنبية:

1-DE S. OLON Ambassadeur : **RELATION DE LEMPIRE DE MAROC** ، paris ،chez la veuve marbre cramoisy.M.dc.xcv

2- Nordman Daniel : **La mémoire d'un captif** ،In : Annales. Économies ، Sociétés ،Civilisations. 41e année ،N. 61986

د-المراجع العربية:

1-الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، دط، تونس، 2013م.

2-البازز محمد الأمين: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، د ط، الرباط-المغرب، 1992م.

3-الجمل شوقي: **المغرب العربي الكبير (ليبيا تونس المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة-مصر، 1977.

4-الفيلالي عبد الكريم: **تاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، شركة ناس للطباعة، ط1، القاهرة-مصر، 2006م، ج4.

6- القبلي محمد: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط-المغرب، 2011.

7- المنجد صلاح الدين: **النظم الدبلوماسية في الإسلام**، دار الكتاب الجديد، ط1، عمان-الأردن، 1983.

8- برادة ثريا: **الجيش المغربي وتطوره في القرن 19**، مطبعة النجاح الجديدة، دط، الدار البيضاء- المغرب، 1997.

9-سعيود إبراهيم: **الأسرى المغارب في إيطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18م.** ومن القرن 10إلى القرن 12هـ، شركة الأصالة للنشر، الجزائر , 2020.

10-غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت- لبنان, 2005م، ج3.

هـ-مراجع معربة:

1- ايشبودان العربي: مدينة الجزائر تاريخ العاصمة، تر ومر، جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007.

2-كواندارو روجي: **قراصنة سلا**، تر، محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، المغرب.

د-المقالات المنشورة:

1- اكينجي أكرم بوغرا: العربية DAILY SABAH،2017

2- الطاهر خالد: **مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه "وصف إفريقيا"**، مجلة التاريخية الجزائرية، ع 04، جامعة الجزائر، 2017م

3- تكران جيلالي وزنو صلاح الدين: **جوانب من مظاهر الحياة السياسية والإدارية في المغرب الأقصى أيام السلطان إسماعيل العلوي 1672-1727م**، من خلال كتاب Relation de l'Empire de Maroc: ou l'on Voit la Situation du pays، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، م 13، ع 01، جويلية 2021.

4- حسين عبدالله حميد: **معاملة الأسرى الحرب في الإسلام والقانون الدولي**، مجلة جامعة لأنبار للعلوم الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة جرش في الأردن، م 3، ع12، 2011،

5- ريش حسن: **الدور الاجتماعي للمرأة بالمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ و18م من خلال وقفيات الأميرة خناثة بنت بكار**، مجلة قضايا تاريخية، ع12.

6- شرفه حسين: **هدى النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأسرى**، في جامعة باتنة، الجزائر، ع8، ج1، 2017.

7-شقير محمد: **شقير يقتحم بيوت الحريم في التاريخ السياسي للمملكة**، مقال، موقع هسبريس، 20 مارس 2018

8- بن عمر حمدادو: **أدبيات الأوبئة والأمراض ببلاد المغارب من خلال كتب الرحالة والأجانب**، مجلة آفاق فكرية، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر. ت ن 2021/10/30

9- مبرك فيصل: **الطائفة اليوسفية بدعة دينية والاجتماعية من خلال المصادر المغربية ق 16-17**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع9، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2015.

مقالات الأجنبية:

1- Maziane Leila :" **les captifs européens en terre marocaine**" ،au 17/18éme Siècles ،in cahiers de la méditerranéen 65،2002

-الرسائل الجامعية:

1- آل عمر محمد بن علي: **الطائفة الكاثوليكية فرقها- وعقائدها-وأثرها على العالم الإسلامي**، إجازة أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007.

2- بن جدو رميصاء: **دور الأسرى المسيحين في كتابة التاريخ المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل (1672-1727) الأسير "جرمان مويط" نموذجا**، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2020م.

3- بن عزة أمال وبلوة فوزية: ال**سياسة الداخلية والخارجية للسلطان المغربي محمد بن عبدالله العلوي 1757-1790م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس ملاينة، 2017-2018.

4-بن قومار جلول: **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (986هـ-1012هـ-1082هـ1139هـ) /(1578م-1603م-1672م-1727م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر، 2016

5-صفصاف الهواري وطبول كمال: **المغرب الأقصى من أزمة العرش إلى إعادة تثبيت الوحدة الوطنية 1139-1206هـ/1727م-1792م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة تيارت، 2018

القواميس والمعاجم:

1-أبادي الفيروز: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1999.

2- ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف القاهرة، مصر.

المواقع الإلكتروني:

1-الجمهرة معلمة مفردات المحتوى الإسلامي: شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:

https://shorturl.at/dkqsN

2-عبد الرحمان: الأسرى بين الإسلام والكتاب المقدس منتديات أتباع المرسلين، شوهد: 2023/06/01 على الساعة 08 صباحا:

https://shorturl.at/bkAPX

فهرس المحتويات

اهداء

شكر .....

قائمة المختصرات .....

مقدمة 9

الفصل الأول: الأسرى الأوربيون في المغرب الأقصى خلال القرن 18م .....

المبحث الأول: مفهوم الأسير والأسرى من الجانب الديني 18

أولا: تعريف الأسير لغة واصطلاحا 18

ثانيا: مشروعية الأسير في الإسلام 19

ثالثا: الأسير في غير الإسلام.....20

المبحث الثاني: واقع الأسرى الأوربيين قبل وبعد وفاة مولاي إسماعيل 21

أولا: أوضاع الأسرى الأوروبيين قبل وفاة مولاي إسماعيل 21

ثانيا: أوضاع الأسرى الأوروبيين قبل وفاة مولاي إسماعيل.....23

ثالثا :واقع الأسرى المسلمين في بلاد الكفار 24

المبحث الثالث: منظمات الافتداء وأبرز الشخصيات من الأسرى وأهم البعثات الدبلوماسية.....25

أولا: أهم منضمات الافتداء الأسرى الأوروبيون 25

ثانيا: نماذج من الأسرى المسلمين والأوربيين 26

ثالثا: أهم السفرات الأوربية والمغربية خلال الفترة الحديثة: 30

الفصل الثاني:.....35

الدراسة الضاهرية لكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد.....35
المبحث الأول: التعريف بالكتاب والمؤلفة الكتاب 36
أولا: ترجمة عن مريا تيرمتلن.....36
ثانيا: دراسة وصفية للكتاب 36
ثالثا: أهمية الكتاب 36
المبحث الثاني: الوصف الخارجي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد 37
أولا: تحليل الواجهة الأمامية للكتاب 37
ثانيا: تحليل الواجهة الخلفية للكتاب 37
ثالثا: تحليل تصميم الغلاف.....37
المبحث الثالث: الوصف الداخلي للكتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد 38
أولا: منهجية الكتاب.....38
ثانيا: ترتيب وملخص مواد الكتاب.....38
ثالثا: أسباب تأليف الكتاب وتقيمه 53
الفصل الثالث: 56
الأحداث التاريخية بعيون الأسيرة مريا تيرمتلن في بلاد المغرب الأقصى 56
المبحث الأول: واقع الأسرى في ضل أزمة العرش من خلال كتاب مريا تيرمتلن.....57
أولا: الحرية الدينية للأسرى في المغرب الأقصى 57
ثانيا: الأسرى والأوضاع السياسية في المغرب الأقصى 59
ثالثا: الأسرى والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الأقصى 63
المبحث الثاني: بعض العادات السيئة المنتشرة في المغرب الأقصى من خلال ما كتبه الأسرى 65

فهرس المحتويات

أولا: الأسرى والأوبئة والمجاعات في المغرب الأقصى:.....65

ثانيا: الأسرى وانعدام الأمن في المغرب الأقصى من خلال كتاب مريا تيرمتلن:.....68

ثالثا: الأسرى والأفات الاجتماعية في المغرب الأقصى.....69

المبحث الثالث: القضاء والنساء داخل القصر العلوي.....71

أولا: الأسرى والعقوبة والعقاب في المغرب الأقصى 71

ثانيا: الأسرى وحياة النساء في القصر السلاطين العلوين من خلال كتاب اثنتا عشر سنة من الاستعباد.....73

خاتمة 76

قائمة المصادر والمراجع 79

الملخص 87

ملخص الدراسة باللغة العربية:

شهد المغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر، تصدع وتزعزع في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وذلك بعد وفاة المولى إسماعيل، حيث شب الخلاف بين ورثة عرشه، واستبدادي جيشه وهذا ما نلمسه من خلال مذكرات **"اثنتا عشر سنة من الاستعباد** «رحلة أسيرة هولندية لبلاد المغرب" لمريا تيرمتلن " Maria Ter Meetelen " وتقارير، رحالة وأسرى أوربيون الذين كان لهم الفضل في تدوين الجزء المغفل والمهمش، من تاريخ المغرب الأقصى خلال هاته الحقبة، التي تميزت بالتوتر والاضطرابات، ومن العوامل التي ساعدت الأسرى في كتابة التاريخ، هو قربهم من السلطة وعملهم في مناصب حساسة، ولخدمة في البيوت والقصور.

الكلمات المفتاحية: ماريا، تيرمتلن، المغرب الأقصى، أزمة العرش.

ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية:

During the eighteenth century، Al-Aqsa Morocco witnessed a crack and destabilization in the political، economic and social system، after the death of the bridge of the Alawite state، Mawla Ismail. In recording the neglected and marginalized part of the history of Morocco during this era، which was characterized by tension and unrest، and among the factors that helped the prisoners write history، is their closeness to power and their work in sensitive positions، and they served in homes and palaces. Intolerance and prejudice against the Islamic religion، and this is what we find in the memoirs of a Dutch prisoner، ، Maria Ter Meetelen who wrote her memoirs about her enslavement in Al-Aqsa Morocco during the throne crisis.

Keywords: Maria, Ter Meetelen, Al-Aqsa Morocco, Throne Crisis.